مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn : 2572- 0058 / E- Issn : 2676 - 1696
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485
المجلد 09 العدد 01 جانفي 2025 ص585/ 609

علاقة علامات الترقيم بعلامات التشكيل

– دراسة نقدية لأشهر الدعوات المنادية بإعادة النظر في الترقيم، واستحداث علامات جديدة له –

The relationship between punctuation marks and diacritics - Discussion of the most prominent calls to reexamine punctuation marks and design new ones -

سمير ربوزي*
المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة (الجزائر)
s.rabouzi@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/08/16
تاريخ القبول: 2025/01/12

الكلمات المفتاحية:
✓ علامات الترقيم
✓ علامات التشكيل
✓ المنطوق والمفهوم
✓ الفهم والإفهام
✓ إظلام النص

الملخص:

منذ أن استُعملت علامات الترقيم في الكتابة العربية، مطلعَ القرن الماضي، ودراساتُ الباحثين تتدافع على رفوف المكتبات؛ كلٌّ يُشيد باستعمالها، ويؤكّد على ضرورة العناية بها، ويحكي واقعا مؤلما تعيشه الكتابة العربية في أكثر أشكالها ومجالاتها، حتى بلغ الأمر حدًّا مقلقا؛ حيث تزايدت الدعوات إلى إعادة النظر في الترقيم العربي، واستحداث علامات إضافية أخرى؛ تسهم في تيسير فهم النصوص المكتوبة، وتدفع اللبس عنها. ومِن أسفٍ أن تكون هذه العناية الشديدة بعلامات الترقيم على حساب مكانة علامات التشكيل الإعرابي، ودون مراعاة منهج العرب القدامى في كتابة النصوص العربية، وضبط كلماتها وعباراتها.

نحاول في هذه الورقة أن نستعرض تاريخ علامات التشكيل وعلامات الترقيم في العربية، ونحدد العلاقة بين هذه وتلك؛ لنناقش في ضوء ذلك هذه الدعوات، وننقد أدلّة أصحابها.

---
*المؤلف المرسل

Abstract:

Since punctuation marks were used in Arabic writing at the turn of the last century, libraries continue to receive increasingly researchers' studies carried out on this topic. Each praises their use, stresses the need to give importance to them, and sheds light on a painful reality that Arabic writing is going through in most of its forms and domains, until reaching an alarming point. In fact, calls to reconsider Arabic punctuation marks and to introduce additional signs that contribute to facilitate the understanding of written texts and remove ambiguities from them are increasing.

It is regrettable that this intense attention to punctuation marks is at the expense of the status of the diacritical marks, and without taking into account the methodology of the ancient Arabs in writing Arabic texts and checking their correctness.

In this paper, we will try to examine the history of diacritics and punctuation marks in Arabic, and define the relationship between them in order to discuss in light of this, these calls and review the evidence of their proponents.

Article info

Received 16/08/2021

Accepted 12/01/2025

Keywords:

- ✓ *Punctuation marks*
- ✓ *diacritics*
- ✓ *Spoken and written*
- ✓ *understanding and making others understand*
- ✓ *obscuring the text.*

1. مقدمة

الحمد لله الذي كرّم بني آدم، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، وجعل من أشرف ما فُضّلوا به ما أنعم به عليهم من نعمة الخطّ؛ التي بها تُحفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، وتتحقق مطالبهم العاجلة والآجلة، وأشهد أن لا إله إلا الله، الحكيم العليم، الذي «**كَتَبَ مَقاديرَ الخَلائِقِ قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بخَمْسينَ ألفَ سنةٍ**» (مسلم، د.ت. ص2044)؛ فعظُم بذلك شرف الكتابة، وتبيّنت مكانتها عند الله تبارك وتعالى، وتأكّد هذا المعنى حين أقسم جلّ وعلا بالقلم والكتابة في محكم تنزيله فقال: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)**﴾ [القلم 1-2].

وأصلي وأسلم على إمام المتّقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد صادق الوعد الأمين، الذي كان مِن أمانته، ونُصحه لأمّته أن أوصاها بتقييد العلوم النافعة، وتعلّم الكتابة، واستعمالها فيما يرضي الله تبارك وتعالى من شؤون الدنيا والآخرة؛ فقالﷺ: «**قيّدوا العلمَ بالكتابِ**» (ابن عبد البر، 1994، 306)؛ فاللهم جازه عن أمّته خير الجزاء، وارض اللهم عن صحابته الكرام، وعن التابعين لهم بإحسان، وعنا معهم بمنّك وكرمك يا ذا الجلال والإكرام، أما بعد

فإنّ الخط عموما، والخط العربي على وجه الخصوص، مِن أجلّ نعم الله تعالى على عباده، وأشرف الصنائع التي يسّر لهم تعلّمها واستعمالها؛ لما فيه من حفظ مصالحهم وعلومهم، وتيسير أمور معاشهم ومعادهم؛ ولذلك عظُمت عناية علماء الإسلام به منذ قديم الزمان، وبخاصة في أعظم حدث خطّي عرفه تاريخ البشرية؛ ألا وهو كتابة القرآن الكريم، ونسخه في المصاحف، ومنذ ذلك الوقت وجهودُ العلماء والباحثين متواصلة في تحسين الخطّ العربي، وتزويده بما أمكن من وسائل تعينه على تمثيل النصوص العربية المنطوقة أحسن تمثيل، وتحقيق الغاية التي أنشئت لأجلها؛ وهي مهم البيان والتبيين.

ومِن أهمّ مراحل التطوّر التي مرّ بها الخط العربي مرحلةُ استعمال علامات الترقيم فيه، على يد الأستاذ أحمد زكي باشا **(ت: 1934م)**، ومنذ ذلك الحين وعلاماتُ الترقيم تلقى من العناية والاهتمام القدر الكبير، ويُروَّج لها على أنّها من الضرورة والأهمية في الكتابة العربية بحيث يشكّل غيابها، فضلا عن سوء استعمالها، خطرا على مهمة التواصل اللساني! وسببا من أسباب فساد المعارف والعلوم، وحصول الفوضى داخل الأبحاث العلمية، بشكل يعطّل نفعها، ويضيع أفكارها، ويصيها بالقصور وفقدان العطاء!

غير أنّ المرء يقف أمام هذه الآراء حول علامات الترقيم، وحاجةِ الكتابة العربية الشديدة إلها، متسائلا التساؤلات الآتية:

- إذا كان سوء استعمال علامات الترقيم من شأنه أن يعطّل التواصل اللساني، ويفسد العلوم والمعارف، فكيف كان العرب يتفاهمون كتابيا، ويحفظون علومهم ومعارفهم، قبل ظهور هذه العلامات؟
- ما هي علاقة علامات الترقيم بعلامات الشكل الإعرابي؟
- هل فعلا تحتاج الكتابة العربية إلى علامات ترقيم جديدة، باعتبار عجزها عن تمثيل كثير من المواقف الكلامية، والأغراض البلاغية؟
- هل استنفد المنادون باستحداث علامات ترقيم إضافية كل الطرق لتوظيفٍ أحسن لعلامات المستعملة؟

نحاول في بحثنا الإجابة عن هذه التساؤلات، وتحقيق الأهداف المسطرة الآتية:

- ✓ بيان موقف العرب القدامى من تشكيل النصوص، ومنهجهم في ذلك.
- ✓ بيان العلاقة بين علامات التشكيل وعلامات الترقيم في العربية.
- ✓ مناقشة الدعوات المنادية باستحداث علامات ترقيم إضافية، ونقد أدلة أصحابها ومبرراتهم.
- ✓ محاولة الإسهام في توظيف أحسن، واستعمال أمثل لعلامات الترقيم، من شأنه أن يرقى -ولو قليلا- بالكتابة العربية، ويقرّب النص المكتوب من أصله المنطوق، دون اللجوء إلى إثقاله بعلامات إضافية، تتسبب في إظلامه، وإرهاق قارئه وإزعاجه.

الدراسات السابقة للموضوع:

كثُرت الكتابات في علامات الترقيم حتى جاوزت الحدّ، ويمكن القول إن أكثر هذه الدراسات يتمثل في مقالات مقتضبة ومستنسخة، ركّز فيها أصحابها على بيان أهمية استعمال علامات الترقيم، وضرب أمثلة على ما يحدثه عدم الاهتمام بها من اضطراب والتباس في فهم النصوص، ولم أقف في واحدة من هذه الدراسات على عنصر من العناصر التي قام لدراستها هذا البحث.

وأما الجزء القليل المتبقي من مجموع الدراسات المخصصة لاستعمال علامات الترقيم، فيمكن عرض أهمّ ما وقفت عليه منها فيما يأتي:

- **قواعد الإملاء وعلامات الترقيم**، للأستاذ عبد السلام محمد هارون.
- **الإملاء والترقيم في الكتابة العربية**، للأستاذ عبد العليم إبراهيم.
- **الضياء في قواعد الترقيم والإملاء**، للدكتور غريب عبد المجيد نافع.

وهذه الكتب هي، كما يظهر، من بين دراسات أخرى لم تُفرَد لدراسة علامات الترقيم، بل جعلتها مبحثا من مباحث دراسة الإملاء العربي؛ ولذلك لم يتوسّع أصحابها في دراسة هذا الموضوع، بل تمحورت جهودهم فيها حول عرض هذه

العلامات، وضرب أمثلة عنها، وانحصرت الفروق بين هذه الجهود -تقريبا- في مسألة التفصيل في ذكر مواضع كل علامة، والتمثيل لها؛ وهو ما يفسّر كون مبحث الترقيم في رسالة الأستاذ هارون حاز خمس صفحات فقط، بينما اتّسعت رقعته في رسالة الأستاذ عبد العليم لتحوز ثلاث عشرة صفحة، وفي رسالة الدكتور غريب، لتقارب ثماني عشرة صفحة، إضافة إلى فرق شكلي آخر، يتعلق بموضع مبحث الترقيم في الرسائل المصنفة لدراسة الإملاء العربي؛ حيث تعارف أصحاب أكثر هذه الرسائل على جعله في آخرها، بينما ارتأى قلّة آخرون، منهم صاحب رسالة الضياء، جعْله في بدايتها، ولعلّ تأخير الكلام عن الترقيم على الكلام عن علامات الشكل وقواعد الإملاء فيه مراعاة للترتيب الزمني والأولوي كما سيتقرّر في هذا البحث.

وأما الكتب المفردة لدراسة الترقيم العربي فلعل من أهمّها وأشهرها العناوين الآتية:

- **الترقيم وعلاماته في اللغة العربية**، لأحمد زكي باشا، أوّل ما صُنّف في هذا الباب، وهو رسالة لطيفة من مقدمة وفصلين، أوّلهما في علامات الترقيم وعرض موجز عن كيفية استعمالها، في نحو من عشرين صفحة.

- **فنّ الترقيم في العربية أصوله وعلاماته**، للدكتور عبد الفتاح الحموز، ويُحسب له أنّه -حسب رأي الباحث- أوّل من تلمّس -في عمل منظّم وموسّع- أصول علامات الترقيم في التراث العربي والإسلامي، وأثبت حيازة العرب والمسلمين لقصب السبق في اختراع علامات الشكل والترقيم؛ حيث فتح نافذة على علم البلاغة، وأسهب القول في علاقة مبحث الفصل والوصل بهذا الموضوع، وأخرى على علم القراءات والرسم العثماني، وبسط الكلام في جهود علماء الشأن في ضبط تلاوة القرآن الكريم، ورسمه في المصاحف، وبخاصة فيما يتعلق بمعرفة الوقف والابتداء؛ ولذلك أحسَب أنّ مؤلَّفه هذا هو أحسن ما أُلّف في باب علامات الترقيم، وأصولها في العربية.

غير أنّ مما يؤخذ على صاحب هذا الكتاب أنّه لم يسلّط الضوء على ما بين علامات التشكيل وعلامات الترقيم من علاقة، وأنّه كان من الداعين إلى تكثير علامات الترقيم، وإعادة استعمال ما تناسته مظانّ الإملاء العربي، واقترح رموزا وعلامات لا حاجة للعربية إليها، وفي بحثنا هذا مناقشة لهذه الدعوة، وبيان لأهمّ مآخذها وعيوبها.

- **علامات الترقيم في اللغة العربية**، للدكتور فخر الدين قباوة، وفيه محاولة جادّة أيضا لإثبات سبق العرب والمسلمين غيرَهم إلى توظيف علامات الترقيم، بما يتناسب مع خصوصية لغتهم، وعراقة علومهم، وعدم تبعيّتهم لغيرهم، غير أنّ مما يُسجّل على هذا الكتاب -كما سيظهر في محلّه من البحث- استعمالُ صاحبه للهجة التهويل والمبالغة في توصيف حال الكتابة العربية المعاصرة، وحملُه على معاصريه، ووصفه إيّاهم بأوصاف لا تليق بهم من غير حاجة إلى ذلك، ولا ثبوت الدليل عليه.

كما أنّنا لاحظنا تفرّدَه بكونه افتتح ذكره لعلامات الترقيم بالتنبيه على ضرورة افتتاح كل فقرة بفراغ في مقدار كلمة صغيرة؛ إشعارا ببدء الموضوع، أو الانتقال من فكرة إلى أخرى جديدة، واستبعادَه للفاصلة المنقوطة من علامات الترقيم التي ذكرها، ومن كتابه بأسره! وكأنه لا يعترف بها، مع تلقّي أكثر الباحثين المعاصرين لها بالقبول، واستحسانهم توظيفها في كتابة النصوص؛ لما لها من مزيّة التفسير والتوضيح لما تستعمل فيه من العبارات والتراكيب.

وفي الجملة، فإنّ هذه الدراسات، وما وقفنا عليه غيرها، مما لفّ لفّها، ونحا نحوها، لا يعتبر دراسات سابقة لموضوع بحثنا هذا؛ لأنها **لم تتعرض للفكرتين الأساسيتين اللتين قام عليهما، وهما: علاقةُ علامات الترقيم بعلامات التشكيل، ومناقشةُ الدعوات المتزايدة المنادية باستحداث علاماتِ ترقيمٍ جديدة**، يرى أصحابها أن فيها مزيد تيسيرٍ لفهم النصوص المكتوبة، يرى الباحث أنّ فيها إثقالا للنصوص، وإظلاما لمسالكها، وإساءة ظنّ بقارئها، دون حاجة ماسّة، فضلا

عن ضرورة إلى ذلك. واللهَ تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، إنه سميع مجيب.

2. تطوّر الخط العربي؛ بين النهضة الحضارية، والضعف اللغوي

بعيدا عن الخلاف الناشئ عن القول بمعرفة العرب قبل الإسلام لعلامات النَّقط والإعجام(1)، فإنّنا نذكّر في مستهلّ الحديث عن مسائل هذا البحث بما يُعتبر محلّ اتفاق بين جميع العلماء والباحثين، وهو أنّ الخطّ العربي الذي اشتهر بين المسلمين في صدر الإسلام، وبالتحديد في كتابة المصحف الشريف، كان مجرّدًا من كلّ أنواع النقط والشكل؛ فلم يكن مشتملا إلا على كلمات مركبة من حروف هجائية، لا يفرّق قارئها -مفصولةً عن سياقها- بين بائها وتائها وثائها ويائها ونونها، ولا بين جيمها وحائها وخائها، ولا بين كل حرفين تشابه رسمهما من الحروف الأخرى، فضلا عن أن يَميز مرفوعها من مخفوضها من منصوبها، وتكاد تجتمع كلمة هؤلاء العلماء والباحثين أيضا على أنّ أوّل من أدخل على الكتابة العربية -وبشكل رسمي ومقنّن- علاماتٍ يهتدي بها قارئها إلى ما تتضمّنه من المعاني والمقاصد هو أبو الأسود الدؤلي، في عملية جليلة هي نَقط المصحف الشريف، استعان فيها برجل من عبد القيس -حسبما اشتهر في كثير من كتب القراءات، والأدب والرسم، وغيرها- فقال له: «خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك» (الأنباري، 1971، ص41).

وهذه النقاط التي أمر الدؤلي بكتابتها هي -كما هو ظاهر- نقاطٌ يُعرف بها أحوال أواخر الكلم؛ أي نقاط إعرابية، جاء بعدها ما يُعرف بنقاط الإعجام التي تمتاز بها الحروف المتشابهة عن بعضها؛ فالباء تحتها نقطة، والتاء فوقها نقطتان، والثاء ثلاثة، وهكذا مع بقية الحروف الأخرى (الفرماوي، د.ت، ص18)، ثمّ حصلت بعد ذلك عملية تحسينية تنظيمية أخرى على يد العلامة اللغوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ استقرّ من خلالها حال النقط والشكل في الخطّ العربي على ما نراه في المصحف اليوم، وفي غيره من المكتوبات العربية الأخرى.

وسواءٌ أكان أبو الأسود اخترع طريقة الشكل العربي، وأبدعها على غير مثال سابق(2)، أم أنه اقتبسه من الشكل السرياني(3)، أو غيره من أنواع الشكل الأخرى، فإنّ عملية تأسيس النقط بنوعيه: نقط الإعراب، ونقط الإعجام، تعتبر مظهرا من مظاهر عبقرية الحضارة العربية الإسلامية، ودليلا من أدلّة عناية العرب بلغتهم، وإسهامهم في خدمتها منطوقة ومكتوبة، ولا يُعرف في تاريخ البشرية أنّ لغة من اللغات استُعمل في كتابتها علامات نقط وإعجام كالتي تُستعمل في العربية، وبخاصة علامات الإعراب التي جمعت بين صغر الحجم، وجماله، وحسن موقعه، وإسهامه في إخراج النص المكتوب في أجمل صورة، وهذا ما يجعل المرء يجزم بأنّ **استعمال نقاط الشكل والإعجام هو من أبرز مظاهر النهضة الحضارية العربية والإسلامية**، ومن أجلّ النعم التي منّ الله تعالى بها على عباده المسلمين؛ تيسيرا لشؤونهم الدينية والدنيوية.

غير أنّ من بين إجماعات العلماء والباحثين التي تستوقفنا أيضا، ونحن نلقي نظرة سريعة على تاريخ الخطّ العربي، أو بالأحرى تطوّر الخطّ العربي: إجماعَهم على أنّ هذا التطور له ارتباط وثيق بمستوى عناية أبناء العربية الذين شهدوا مراحله بلغتهم، شأنه في ذلك شأن ظهور علم النحو العربي وتطوّره؛ فكلما أصاب هذه العنايةَ ضعف أو خلل، وابتعد العرب عن تعلّم لغتهم، ومعاني ألفاظها، ودلالات تراكيبها، كانت الحاجة إلى تنوير الكتابات الموجهة إليهم بمصابيح إضافية، تأخذ بأيديهم إلى نهاياتها دون التّيه بين مسالكها، أو تضييع ما أُرسل إليهم من المعاني والدلالات عبرها، وممّا يؤكد هذه الحقيقة العلمية ذاتَ الشقّين التاريخي واللغوي ما اجتمعت عليه كلمة العلماء والباحثين(4) من أنّ الدافع إلى اختراع

علامات النقط والإعجام كان فشوّ اللحن في اللسان العربي، ولاسيما عند الأعاجم الذين عرّبهم الإسلامُ، أو أيّةُ ضرورة أو حاجة أخرى، ويزداد الأمر تأكُّدا عندما يتصفّح المرء تاريخ الكتابة العربية في عهدها الإسلامي، فيقف على حقيقتين اثنتين:

الحقيقة الأولى أنّ الصحابةﷺ، ومَن جاء بعدهم من التابعين ممن لم يدركوا زمن نقط المصحف الشريف، كانوا يقرؤونه -وبكلّ يسر- مجرَّدًا من كلّ نقط؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ نقط المصحف، وإن كان معلَما بارزا من معالم الحضارة العربية والإسلامية، وخطوة عملاقةً في طريق نهضتها وتقدُّمها، إلا أنّه يعتبر ضرورة شرعية، وحاجة بشرية فرضتها الحالة العامّة للصحة اللغوية للمجتمع العربي آنئذ، إن صحّ هذا التعبير.

وأما الحقيقة الأخرى فهي أنّ كثيرا من أهل العربية القدامى كانوا ينزعجون من تشكيل ما يُرسَل إليهم من نصوص مكتوبة، ويعتبرون ذلك مسبَّة لهم، وسوء ظنّ بعلمهم، وحسّهم اللغوي والأدبي، ومما يُروى في هذا المعنى أبياتٌ أوردها بعض الأدباء في كتبهم (الدينوري، 1997، ص111، والصولي، 1922، ص61)، فيها عتابٌ شديد لرجل أرسل إلى صاحبها كتابا مشكولا، يقول فيها:

يا كاتبًا كَتب الغداة يسبُّني *** مَن ذا يُطيق براعة الكُتَّاب؟

لم تَرض بالإعجام حين كتبتَه *** حتى شكّلت عليه بالإعراب!

أخَشيت سوء الفهم حين فعلته؟! *** أم لم تثق بي في قراءِ كتاب؟

لو كنتَ قطّعتَ الحروف فهمتُها *** من غير وصلِكَهُنَّ بالأنساب

فتأمّلْ كيف أنّه لم يكتف باعتراضه على شكل ما أُرسل إليه شكلا إعرابيا؛ بل ألمح إلى أنّه حتى نقط الإعجام الذي يصعب في أيامنا هذه، وربما يتعذّر أن يستغني عنه كثير من أبناء العربية في قراءاتهم للنصوص المكتوبة عامة، والأدبية منها على وجه الخصوص، لم يكن في حاجة إليه؛ لقدرته على الاستغناء عنه، والاعتماد في قراءة المكتوب دونه على ذكائه، وملَكته اللغوية؛ لتعلم أنّ العرب الأوائل كانوا ضنينين جدا على أنفسهم أن يشكلوا كلامهم المكتوب؛ وأنهم كانوا يعتبرون كثرة التشكيل تجهيلا للقارئ، واتّهاما له بالغباء وقلّة الفهم.

ومما يروى في هذا السياق أيضا ما «حكاه المدائني عن بعض الأدباء أنه قال: كثرة النّقط في الكتاب سوء ظنّ بالمكتوب إليه» (القلقشندي، د.ت، ص149)، وما «روي عن عبد الله بن طاهر أنّه عُرض عليه خطٌّ فقال: ما أحسنه، لولا أنه أكثر شونيزَه» (النويري، 2002، ص13، و القلقشندي، د.ت، ص148)، والشونيز هو الحبة السوداء (الفيومي، د.ت، ص323)، ونحوُ هذه الأقوال كثير في كتب الأدب وغيرها، وملخّصُها أن العرب الأوائل كانوا يرفضون وبشدّة إظلامَ نصوصهم بعلامات النقط والإعجام، وكانوا يعدّون ذلك من المحظورات التي أباحتها ضرورة فشوّ اللحن في اللسان العربي عامة، وفي كتاب الله تعالى على وجه الخصوص.

وإذا كان أهل الشريعة قيّدوا قاعدة "**الضرورات تبيح المحظورات**" بقاعدة: "**الضرورة تقدّر بقدرها**"، فإنّ علماء العربية قيّدوا عملية تشكيل النصوص بقاعدة: "**لا يُشكَل إلا ما أشكَل**"، وفي هذا يقول ابن مجاهد: «ليس يقع الشكل على كل حرف، إنما يقع على ما إذا لم يشكل التبس، ولو شكل الحرف من أوله إلى آخره، أعني الكلمة، لأظلم الكتاب، ولم تكن فائدة... وقال ابن المنادي النَّقط والشكل إنما جُعلا للضرورات المشكلات يسرا، لا أن ينقط كل حرف من الكلمة سكن أو تحرك، فإذا ركب ناقط ذلك فقد خرج عن الحد إلى غيره، ولا طائل في ذلك كله» (الداني، 1987، ص210)، ليكون هذا التقعيد بمثابة **خطوة ثانية** في مسيرة نهضة الحضارة العربية في مجال صناعةٍ من أشرف الصناعات، وفنّ من أجلّ الفنون، ألا وهو الخطّ: حيث جعلوا التقليل من التشكيل منضبطًا بضوابط علمية، ومرتبطا بالغاية المثلى للتواصل

الكتابي؛ ألا وهو تحقيق البيان والتبيين، مع إراحة القارئ، وتحقيق متعته ونشاطه، ومن قرأ وصايا أهل العربية في هذا المجال ظهر له هذا المعنى جليًّا؛ فمن هذه الأقوال مثلا قول محمد بن عمر المدائنيّ: «ينبغي للكاتب أن يُعجم كتابه، ويبيّن إعرابه؛ فإنه متى أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط: كثر فيه التصحيف، وغلب عليه التحريف..، وقول أبي مالك الحضرميّ: «أيُّ قلمٍ لم تُعجَم فصوله، استعجم محصوله»(القلقشندي، د.ت، ص147)، وعن سعيد بن حميد الكاتب أنّه قال: «من سلك طريقا بلا إعلام ضل، ومن قرأ خطًّا بلا إعجام زل» (الجبوري، 1962، ص61)، إلى غير ذلك من الأقوال الداعية إلى العناية بشكل النصوص المكتوبة، دون حصول إظلام ولا إبهام.

وبالجمع بين تذمّر أهل العربية من تشكيل النصوص، وتأكيدهم على ضرورة إزالة عجمتها ولبسها يمكن القول: **إن اختراع علامات النقط والإعجام كان نهضة حضارية عربية وإسلامية من جهة، وإشعارا بتدنّي مستوى عربيةِ كثيرٍ من أهلها بعد اختلاطهم بالعجم**، وانصراف كثير منهم عن مجالس تعلّمها من جهة أخرى.

ولقد ظلّ هذا التدنّي مستمرا قرونًا طويلة، حتى يسّر الله تعالى لأهل العربية **خطوةً ثالثة** في مسيرة نهضتهم الحضارية المتعلقة بمجال الخطّ والكتابة، تعتبر هي الأخرى إشعارا بافتقارهم إلى معينات إضافية على فهم النصوص المكتوبة، وبمظهر جديد من مظاهر الضعف، نتعرّف عليه في الكلام عن هذه الخطوة، وهي استعمال علامات الترقيم، التي عليها مدار الكلام في هذا البحث.

3. العلاقة بين علامات الترقيم وعلامات التشكيل، بين المعمول والمأمول.

<u>تعريف الترقيم:</u>

لغةً: قال ابن فارس: «الراء والقاف والميم أصل واحد يدل على خطٍّ وكتابة وما أشبه ذلك، فالرقم: الخط، والرقيم: الكتاب..، والأرقم من الحيات: ما على ظهره كالنقش» (ابن فارس، 1979، ص425)، وقال الخليل بن أحمد: «الرقم تعجيم الكتاب، يقال كتاب مرقوم، إذا بُيّنت حروفه التنقيط» (الفراهيدي، د.ت، ص159)، وعلى ذلك أكثرُ أصحاب المعاجم وكتب اللغة والأدب.

وأمّا في **الاصطلاح** فللترقيم تعريفات كثيرة بسبب كثرة الكتابات فيه، ومما يمكن أن يلاحظه الناظر في هذه التعريفات أن بعضها لم يراعَى فيه التفريق بين الترقيم وعلامات الترقيم، ومن هذه التعريفات مثلا ما ذكره أصحاب المعجم الوسيط تعريفا للترقيم، وهو قولهم: «علاماتٌ اصطلاحية توضع في أثناء الكلام أو في آخره؛ كالفاصلة والنقطة، وعلامتي الاستفهام والتعجب» (مصطفى وآخرون، د.ت، ص366).

بينما عرّف باحثون آخرون الترقيم باعتباره عملية وضعٍ لهذه العلامات في مواضعها من النص المكتوب، مما يُشعر بأنّهم يعتبرونه عملية ذهنية يقوم بها الكاتب في كتابته للنص؛ لغرض تنظيمه، وتيسير قراءته وفهمه، ولعل من أحسن هذه التعريفات قول الأستاذ عبد العليم إبراهيم: «الترقيم هو وضع رموز اصطلاحية معينة بين الجمل أو الكلمات؛ لتحقيق أغراض تتصل بتيسير عملية الإفهام من جانب الكاتب، وعملية الفهم على القارئ» (إبراهيم، د.ت، ص95)؛ لبيانه الغايةَ من استعمال علامات الترقيم، وهي تحقيق الفهم والإفهام، وأجوَدُ من هذا التعريف قول أحمد زكي: «الترقيم هو وضع رموز مخصوصة في أثناء الكتابة؛ لتعيين مواقع الفصل والابتداء، وأنواع النبرات الصوتية، والأغراض الكلامية في أثناء القراءة» (زكي باشا، 1987، ص14).

غير أن التعريفين كليهما، وغيرهما مما وقف الباحث عليه من تعريفات أخرى للترقيم لم تؤكّد على ضرورة أن تكون هذه العملية منهجية، وسائرة في ظل توجيهات علماء العربية التي تقدّم الكلام عنها، ولذلك يقترح الباحث تعريفا للترقيم، هو أنّه: "**عمليةٌ خطّية بيانية، تسعى إلى تنظيم الكلام المكتوب، بتزويده بعلامات اصطلاحية تعينه على تمثيل**

الكلام المنطوق، ونقلِ أكبر قدر ممكن من أداءاته المرافقة، صوتيةً كانت أم حركية؛ لتحقيقِ أمثلَ لعمليتي الفهم والإفهام".

ولعل مما يُحسب لهذا التعريف أمور أربعة، يحسن بيانها في هذا الموضع، هي:

- اعتباره الترقيم عملية بيانية منظمة، لا مجرد وضعٍ للعلامات، دون اكتسابٍ لمهارة توزيعها على أجزاء النص المكتوب، ومواضعها المناسبة.

- إشارته إلى أنّ من شأن علامات الترقيم أن تجسّد قدرا معتبرا من النغمات الصوتية، والحركات الإشارية، المصاحبة للمشهد الكلامي، ونقصد هنا تحديدا علامة التعجب، وعلامتي الجملة الاعتراضية، وعلامات الترقيم التركيبية التي يأتي تفصيل الكلام عنها في آخر هذا البحث.

- بيان أن أهمّ[5] غاية لعملية الترقيم هي تحقيقٌ أمثلُ لثنائية الفهم والإفهام في عملية التواصل المكتوب، ويشير المركب الوصفيُّ: **"تحقيق أمثل"** إلى أمرين هامّين:

أولهما أنّ علامات الترقيم ينبغي أن يُراعى في استعمالها جادّةُ أهل العربية القدامى في النهي عن استعمال علامات الشكل لغير حاجة؛ فلا يُبالَغ في إظلام النص بها من جهة، ولا في إساءة الظنّ بالقارئ، وإنزاله منزلة الجاهل بأساليب العربية من جهة أخرى، وإنما يوقَف في ذلك بين الإفراط المملّ، والتفريط المخلّ؛ فلا توضع علامة الترقيم إلا حيث يُحتاج إليها، مع مراعاة الغرض العام الذي هو تحقيق الفهم والإفهام.

وأمّا الأمر الآخر فيدلّ عليه أفعل التفضيل: **"أمثل"**، وهو بمثابة جواب عن سؤال متوقَّع هو: ماذا يضرُّ النصَّ المكتوب إن لم نستعمل في كتابته علامات الترقيم؟ أليس القرآن الكريم إلى اليوم يُقرأ غضًّا طريا وليس فيه شيء من هذه العلامات؟ والجواب عن هذا السؤال من وجهين:

الوجه الأول هو أنّه لا مجال للمقارنة بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقين؛ فالقرآن الكريم مُعجز بألفاظه ومعانيه، ولا يحتاج إلى هذه العلامات أصلا لقوّة دلالة ألفاظه على معانيه، ولتبوّئه أعلى مراتب البلاغة والبيان، وليس احتياج رسم المصحف الشريف إلى نقاط تميز حروفه المتشابهة عن بعضها، وتبيّن مرفوعها من منصوبها، كاحتياجه إلى علامات ترقيم تحدد استفهاماته، وتعجّباته، ومقولات ما فيه من أقوال، ونحو ذلك، وبعبارة أخرى تخدم هذا السياق: إنّ حاجة قرّاء القرآن الكريم إلى نَقط حروفه نقط إعراب ونقط إعجام بلغت من الشدّة حدّ الاضطرار، بخلاف علامات الترقيم التي لا ترقى حاجة الناس إليها إلى حدّ الحاجة الشديدة فضلا عن أن تكون ضرورة ترفع الحظر عن إضافة أيّ شيء إلى رسم المصحف الشريف، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا المعنى قريبا في هذا البحث.

وأما الوجه الآخر فهو أننا، وإن كنّا نعترف بأنّه يمكن الاستغناء بالكلية عن استعمال علامات الترقيم في أكثر النصوص المكتوبة اليوم، إلا أنّنا نؤكد على أنّ ذلك من شأنه أن ينزل بوظيفة الإفهام والإقناع والإمتاع من مستواها الأمثل إلى مستويات أقلّ، قد تصل إلى مرتبة الرداءة أو قريبا من ذلك، ومردّ ذلك -حسب رأي الباحث- إلى سببين اثنين:

الأوّل علميّ لغوي؛ يتمثل في ضعف الملكة اللغوية لدى كثير من الكَتَبَة والقرَأة اليوم، مما يستوجب الاستعانة بأيّة وسيلة تجبر هذا النقص، وتدفع بعملية الفهم والإفهام قدمًا نحو مستوى أفضل، ومرتبة أكمل.

والسبب الآخر نفسيٌّ؛ وهو أنّ كثيرا من قراء العربية اليوم، وربما أكثرهم، اشتدَّ تعلُّقهم بعلامات الترقيم حتى في الحالات التي لا تفيدهم فيها شيئا! ومن ذلك مثلا الاستفهامات الصريحة؛ نحو: كيف حالك، وأين نلتقي، وكم الساعة، فمثل هذه الأساليب وإن كان القارئ المبتدئ في غنى عن أن يستعين بعلامة الترقيم: (؟) لبيان استفهاميتها، إلا أنّ من

الصعوبة بمكانٍ تجريدُها من هذه العلامة، بلهَ إذا جُرّد النص بأكمله منها ومن غيرها من علامات الترقيم! ولذلك فإن لهذه العلامات اليوم أهميةً بالغة في التعامل مع النصوص، مع الاعتراف بعدم ركنيّتها في عملية التواصل اللغوي المكتوب، ولا حتى كونها شرطا أساسيا من شروطه.

نأتي الآن إلى بيان العلاقة التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في عملية الترقيم، أعنى علاقتها بعلامات التشكيل، وحتى تتحدد معالم هذه العلاقة بشكل واضح وسليم، ينبغي بيان أهمّ أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذين النوعين من العلامات:

أما نقاط الاتفاق فأفضّل أن أُجمل القول في بيانها، وعرضها دون تطويل المقام بذكر تفاصيلها؛ لوضوحها من جهة، ولكون بعض ما سبق من فقرات هذا البحث متضمّنا لأبرز تفاصيلها من جهة أخرى، وهي:

- أنّ غرض كل من علامات التشكيل وعلامات الترقيم هو تيسير الفهم الجيّد للنصوص المكتوبة.
- وأنّهما تمثلان مظهرا من مظاهر عبقرية المسلمين، ونهضتهم الحضارية في مجال الخطّ.
- وأنّهما إنما دعا إلى استحداثهما تراجُع مستوى أهل العربية في معرفة لغتهم، وعنايتهم بها.

وأما نقاط الاختلاف بين علامات التشكيل وعلامات الترقيم، وهي التي تمثل المحور الأهمّ في بحثنا هذا، فيحسُن بنا بسط القول فيها، وأهمُّها -بعد البحث والتأمّل- الفوارق الثلاثة الآتية:

1 - أنّ اختراع علامات التشكيل برزت فيه شخصية الباحث العربيّ بشكل أقوى وأروع منه في عملية استعمال علامات الترقيم؛ وذلك أنّ أحمد زكي باشا، وهو أوّل من أدخل علامات الترقيم إلى الكتابة العربية، وإن كان قد استفاد في عمله هذا من طرائق علماء السلف في كتابة القرآن الكريم، وراجع كثيرا من كتبهم المتعلقة بهذا الشأن، مثل كتاب: القول المفيد في علم التجويد، وكتاب: منار الهدى في الوقف والابتدا، وشروح مقدمة ابن الجزري، وغير ذلك[(6)]، إلا أنّه في النهاية لم يزد على كونه نقَل علامات الترقيم المستعملة في الكتابة اللاتينية إلى الكتابة العربية، وليس هذا بمستنكر ولا محظور؛ فلم تزل الحضارة العربية الإسلامية تتعامل مع غيرها من الحضارات أخذا وعطاءً، ولكنْ شتان بين ذلك وبين صياغة علامات الشّكل صياغةً أصيلة؛ برزت فيها شخصيةُ العربية، وظهر من خلالها اكتفاؤُها بنفسها، على يد العبقري الفذّ: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي «أخذ علامات الشكل من صور الحروف العربية؛ فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف» (الداني، 1987، ص210)، بخلاف علامات الترقيم التي وإن كان لها اليوم ما لها من الشيوع والقَبول، إلا أننا لا نجد أيّ رابط بينها وبين ما تؤديه من وظائف دلالية في سياق النص المكتوب، وهذا ما يقودنا إلى بيان:

2 – <u>الفارق الثاني بين علامات الترقيم وعلامات التشكيل</u>، وهو سلامة هذه الأخيرة، ومنذ نشأتها الأولى، من الاضطراب واللاتوافق الذي لا تزال تعرفه بعض علامات الترقيم إلى يومنا هذا، على الرغم من كثرة البحوث المخصصة لدراستها، ولا أدلَّ على ذلك من أنّ أكثر ما كُتب في هذا المجال لم يُغفل أصحابه الإشارةَ إلى هذه المعضلة اللغوية، ومن هؤلاء -على سبيل المثال- الدكتور فخر الدين قباوة، قال في مقدمة كتابه علامات الترقيم في اللغة العربية: «وقد كان لي، بما قرأت وكتبتُ وحققت من المصنفات والكتب، ووجهت من البحوث الأدبية واللغوية، شرف الاطلاع على ما لدى المعاصرين من الاعتساف والاعتباطية في توظيف وسائل الترقيم، الأمر الذي يفسد كثيرا من العلوم والمعارف، ويزوّد الناس بفوضى هذا الترقيم التعبيري، حتى لا تقوم للأبحاث والدراسات والتراثيات المنشورة قائمة ناجعة منجدة، في تكوين فكر ووضوح فكرة وسداد بيان، وتبقى في حيز القصور وفقدان العطاء» (قباوة، 2007، ص6).

وعلى الرغم من تحفّظنا الشديد على مبالغة الدكتور قباوة في تشخيص هذه الحالة المَرَضية لاستعمال علامات الترقيم، وإصرارِه في مواضع من كتابه على إطلاق أوصاف: العشوائية، والتنطع، والغوغائية، والارتجال...، على توظيف معاصريه لهذه العلامات من جهة، وعلى أنّ هذا الوضع من شأنه أن يفسد كثيرا من العلوم والمعارف من جهة أخرى، إلا أننا نعترف بوجود مشكلة حقيقية في هذا الموضوع، وواقعُ أكثر الكتابات العربية المعاصرة خير شاهد على ذلك، ولكننا ننبّه -تبريرا لرفض لغة التهويل والمبالغة المستعملة في الكلام السالف الذكر وما نحا نحوه- على أمرين في غاية الأهمية:

الأوّل أنّ أكثر علامات الترقيم العربي -ولله الحمد- لا يجد عامة الكتَبة والقرأة مشكلةً في استعمالها، ولا في فهم ما تؤدّيه من معان داخل النص المكتوب، وبخاصة علامات: النقطة، والنقطتين، والاستفهام، والتعجب، والشرطتين الاعتراضيتين.

والأمر الآخر أن بقية العلامات، وهي التي يحصل بسببها شيء من الخلط في كتابة النصوص العربية، وأهمها الفاصلة والفاصلة المنقوطة، إنما ترجع مشكلتها إلى ضعف همّة أكثر العرب اليوم في تعلّم كيفية استعمالها، ووضعها في مواضعها اللائقة بها من النصوص المكتوبة، وأحسَب أنّ عددا قليلا من اللقاءات العلمية الجادّة في هذا الخصوص، يعقبها تنفيذ صارمٌ لمقترحاتها، وما توصّلت إليه من القواعد والقوانين في مختلف مؤسسات التعليم، كفيلٌ بحلّ هذه الإشكالية، والقضاء، أو -على الأقل- التقليل من الاضطراب الحاصل في كثير من النصوص المكتوبة بسببها، أو بالأحرى في مواضع منها، تقلّ حينا، وتكثر أحيانا.

3 – <u>**الفارق الثالث بين علامات الترقيم وعلامات التشكيل**</u> يُعتبر أكثر أهمّية من سابقيْه، ولولا أنّ الكلام عنه يحقق ترابطا بين هذا المحور من البحث والذي يليه لكان أولى بالعناية والتقديم؛ وهو **مسألة الأحقّية بالظهور على مستوى النص المكتوب، وعلى أيّ أساس نحكم لهذه العلامات أو تلك بهذه الأحقّية**؟ وحتى تتضح صورة هذه الإشكالية أكثر فإننا نقدّم لها بأربع مقدّمات أساسية، هي:

- <u>**المقدمة الأولى**</u>: وسبقت الإشارة إليها؛ وهي ما يتعلق بطريقة العرب الأوائل في شكل النصوص، وحساسيتهم المفرطة تجاه الإسراف في ضبط حروفها، وهو ما يفترض أن يكون منهجًا متّبعا في استعمال علامات الترقيم؛ للعلة الجامعة بين العمليتين، وهي الحرص على تجنّب إظلام النصوص من جهة، وعلى مراعاة ذكاء القارئ، وحاجته إلى تنشيط قريحته، وتحريك ذهنه في عملية قراءة النص المكتوب من جهة أخرى.

- <u>**المقدمة الثانية**</u>: أن علامات الشكل الإعرابي متقدمةٌ -زمنا وأهمية- على علامات الترقيم، ولقد ظل العرب مستغنين عن علامات الترقيم، مكتفين بما ورثوه عن أسلافهم من نقاط إعجام وعلامات شكل يهتدون بها، وبمعرفتهم بأساليب العربية، في فهم دلالات النصوص المكتوبة، والتعامل مع ما التبس عليهم منها.

- <u>**المقدمة الثالثة**</u> أنّه لا أحد يعترض على اجتماع علامات الشكل وعلامات الترقيم في تركيب واحد، وإن قصُر؛ فالعبرة بتأمين المعاني، وإخراج النص المكتوب في حلّة بهية يكون فيها أقرب ما يكون إلى واقع النص المنطوق، وعليه فإننا إذ نتحدث عن أيّهما أحقّ بالاستعمال في تحديد معاني النصوص المكتوبة؛ علامات التشكيل أم علامات الترقيم، فإنه ليس من لازم ذلك القول بضرورة الاقتصار على هذه أو تلك، وإنما القصد منه التنبيه على ما في:

<u>**المقدمة الرابعة**</u>: وهي أنّ أكثر النصوص المكتوبة إنما يُحتاج فيها إلى علامات تشكيل، أو علامات ترقيم، أو كلتيهما؛ لتحقيق فهمٍ أكمل لها، وتقريب أفضل لمعانيها ودلالاتها، لا لتحقيق أصل الفهم ومطلَقه؛ ولذلك فإنه يمكن الاستغناء في كتابة هذه النصوص عن كل العلامات، التشكيلية منها والترقيمية، بل إن بعض هذه النصوص يمكن كتابتها من دون

نقاط إعجام أيضا؛ لسهولة قراءتها، وفهم معانيها فقط بمجرّد النظر في أشكال حروفها، والاعتماد على المعرفة بأساليب العربية، ومعهود تراكيبها في ذهن القارئ العادي، فضلا عن الماهر المتمرّس، فلا يبقى معنا إلا نصوص قليلة هي التي يستعصي فهم بعض تراكيبها عند تعريتها عمّا يلزم من علامات التشكيل أو علامات الترقيم، وهي النصوص ذات المعاني المتعدّدة؛ أي التي تحتمل أكثر من قراءة مع عدم وجود قراءة راجحة: فهذا محتمل، وهذا محتمل، وهنا يقف القارئ محتارا، متزعجا من صنيع الكاتب الذي تركه هائما بين معانٍ لا يعرف أيّها يوصله إلى مراد صاحب النص، والمغزى الأصحّ من كلامه.

وعلى الرغم من أنه يمكن صياغة عدد غير قليل من هذه التراكيب، إلا أنني أتعمّد اختيار مثالين عنها، كلّ منهما من كتاب يعتبر من أجود ما كُتب في مجال علامات الترقيم، أحدهما هو كتاب: **الإملاء والترقيم في الكتابة العربية**، للأستاذ: عبد العليم إبراهيم **(ت: بعد 1395هـ)**، والآخر هو كتاب: **قواعد الإملاء وعلامات الترقيم**، للأستاذ عبد السلام محمد هارون (ت: 1408هـ)، وكلاهما أبان عن رؤية يراها الباحث في حاجة إلى إعادة نظر، هي إعطاء شرف هداية القارئ إلى الطريق الصحيح في قراءته للنص متعدد المعاني لعلامة الترقيم، والإشادة بها في هذه المهمة النبيلة، مع الغفلة أو الإغفال لعلامة التشكيل، وما إذا كان في مقدورها القيام بهذه المهمة، أو بالأحرى استحقاقها، ونيل درجة الأولوية فيها:

<u>**المثال الأول**</u>: يقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم: «يضطرب المعنى إذا أسيء استعمال <u>إحدى</u> علامات الترقيم، بأن وُضعت في غير موضعها، أو حلت محل غيرها..؛ فمثلا: ..إذا طالعنا الجملة الآتية وبعدها علامة التأثر: "ما أعظم الآثار المصرية!" وطُلب منا ضبط آخر الكلمتين: أعظم، الآثار، <u>أدركنا</u> من وضع علامة التأثر أن الجملة أسلوب تعجب؛ <u>فنفتح</u> آخر أعظم؛ لأنها فعل ماضٍ للتعجب، وآخر الآثار؛ لأنها مفعول به. أما إذا كان بعد هذه الجملة علامة الاستفهام، <u>أدركنا</u> أن الجملة استفهامية؛ <u>فنرفع</u> كلمة أعظم أفعل تفضيل خبر ما، <u>ونجر</u> كلمة الآثار؛ لأنها مضاف إليه، <u>ولو حذفت علامة الترقيم من كل جملة لتحير القارئ في تصوير المعنى</u>، وفي ضبط بعض الألفاظ" (إبراهيم، د.ت، ص95).

قلت: على الرغم مما في هذا الكلام من صواب في بعض جوانبه، إلا أن المؤسف هو هذه اللغة التي يستعملها كثير من الباحثين في تقرير هذا الصواب، وهي لغة تضمّنت من المبالغة والتهويل ما يصل بها إلى حدّ التخويف؛ حيث يصوّر هؤلاء الباحثون لقرّائهم -كما تقدّم معنا- أن إخلالهم بنظام علامات الترقيم، وسوء استعمالهم لها من شأنه أن يفسد العلوم والمعارف! ويوقع القارئ في الحيرة والقلق، ونحو ذلك من التوصيفات المبالغ فيها، وحتى لا يخرج بنا هذا الأسف عن مقصودنا نطرح سؤالا على الأستاذ إبراهيم، وعلى كلّ من يتبنى رؤيته هذه فنقول: لماذا علينا أن نقطع كل مسافة الكلام المكتوب، لنصل إلى علامة التعجب طمعًا في أن تفصح لنا عن تركيبه النحوي، ومقصوده الدلالي، وفي إمكان الكاتب أن يرسم بدلا عن هذه العلامة فتحةً لطيفة فوق ميم كلمة أعظم فيزول الإشكال؟! مع التذكير بما مرّ معنا في المقدمة الثالثة من عدم وجود بأس في الجمع بين العلامتين في هذا التركيب، وبعبارة أخرى: **أليس لعلامة الشكل من القوّة في البيان، والأصالة في العربية، والعراقة في التاريخ، واللطافة في الرسم، ما يجعل سلطة توجيه دلالات الخطاب المكتوب -في المقام الأول- في يدها هي، لا في يد غيرها من علامات الترقيم؟!**

ولئن كان مثال الآثار المصرية بقي حبيس كتاب صاحبه، ولم يُكتب له الشيوع في دراسات الباحثين، فإن عبارة **"ما أحسن الرجل"**، وعند بعضهم: **"ما أحسن الطبيب"**، قد نالت من الشهرة والانتشار ما يثير الحيرة والاستغراب، وتعظم هذه الحيرة حين يعود الباحث، بعد طول طواف بين المقالات الكثيرة التي أوردَتها، صفر اليدين من معرفة مرجع هذه المقولة! والمنظّر الأوّل لها، على الرغم من أنّ أصحاب أكثر هذه المقالات لم يزيدوا حرفا واحدا على العبارة المناقشة لهذه المقولة، المبيّنة فضل علامات الترقيم في توجيه دلالاتها:

يقول أحد هؤلاء الباحثين: «سنضرب لك مثالاً عن مثل هذا الاضطراب الكبير في المعنى والإعراب والحركات لاختلاف علامات الترقيم..:

1 - ما أحسنَ الطبيبُ. 2 - ما أحسنَ الطبيبَ! 3- ما أحسنُ الطبيبِ؟

فهذه الجمل الثلاث مختلفة في المعنى، لا متكررة، على الرغم من أنها بدت في الظاهر جملة واحدة مكررة ومكونة من الكلمات الثلاث نفسها؛ فالنقطة جعلت الجملة الأولى جملة خبرية منفية بـ (ما) النافية، وعلامة التعجب جعلت الجملة الثانية جملة تعجبية و(ما) تعجبية بمعنى شيء، وعلامة الاستفهام جعلت الجملة الثالثة جملة استفهامية، وما اسم استفهام»[(7)].

وأما أصحاب مثال: **"ما أحسن الرجل"** فلم يزد واحد منهم -حسب الاطلاع القاصر- على أن جعل مكان كلمة الطبيب كلمة الرجل، ثم نقل ما بعدها بحروفه وعلامات ترقيمه! ولا أريد أن أطوّل المقام بالتعليق على صنيع هؤلاء، ولكنني أكتفي بالإشارة السريعة إلى نقطتين هامتين؛ لما فيهما من خدمة لما نحن فيه من علاقة علامات الترقيم بعلامات الشكل من حيث **الترتيب الأوّلي والأولوي**:

أما الأولى فهي أن القول بأن النقطة (.) في نهاية عبارة: "ما أحسن الرجل" يقطع بأن "ما" في بدايتها نافية فيه نظر؛ لأن لازم ذلك هو القول بوجوب وضع علامة تعجّب بعد كل أسلوب تعجّب! وهذا ما لم يقل به أحد من المعاصرين فيما أعلم، نعم يتعيّن ذلك في كثير من الحالات؛ حيث لا يؤمَن اللبس، ويُخشى على ضياع دلالة المتكلم، ولكنْ في الحالات التي تكون فيها دلالة التعجب معروفة مكشوفة فإن الإلزام بوضع علامة التعجب يعتبر بمثابة التوظيف للغة التخويف في تقرير نظام استعمال علامات الترقيم، وهذا أمر لا يقبله عقل، ولا يرتضيه بحث علمي رصين.

وأما النقطة الثانية فهي عودٌ على بدء؛ إذ تتعلق باغتناء الخط العربي بعلامات الشكل عن علامات الترقيم في أكثر الحالات التي يتعيّن فيها الاكتفاء بإحداها عن الأخرى؛ وذلك أن:

- جملة: ما أحسن الرجلُ (بضمّ اللام) جملةُ نفي بلا إشكال، دون الاحتياج إلى نقطة في آخرها.
- وجملة: ما أحسن الرجلَ (بفتح اللام) جملة تعجبية ولو لم تُرسم في آخرها علامة تعجّب.
- وجملة: ما أحسنُ الرجل (بضمّ النون) جملة استفهامية ولو لم تظهر في آخرها علامة استفهام.

ولا بأس أن نذكّر هنا بأمرين هامّين:

الأوّل: أنّ هذا التقرير ليس من لوازمه أننا نطالب بإقصاء علامات الترقيم، ولا بتقديس علامات الشكل، وضرورة استعمالها في كل تركيب؛ بل غاية ما في الأمر أنّنا نؤكّد على هذه الضوابط الثلاثة:

- أنّ الأصل عدم الإكثار من استعمال العلامات، علامات شكل كانت أم علامات ترقيم.
- وأنّ الحالات التي تستدعي وضع هذه العلامات أو تلك يحكمها أمر هامٌّ مشترك؛ هو توخّي أمن اللبس، ودفع كل ما يشكل على وضوح الدلالة، وتأمين المعنى.
- وأنّه إذا لزم التخيير بين وضع علامة شكل أو علامة ترقيم فإن الأولوية لعلامة الشكل؛ لاعتبارات تقدّم ذكرها معنا، ونعيده هنا لأهميتها؛ وهي: <u>القوّة في البيان</u>، <u>والأصالة في العربية</u>، <u>والعراقة في التاريخ</u>، <u>واللطافة في الرسم</u>.

الأمر الآخر هو ما سبقت الإشارة إليه من مسألة الجانب النفسي من هذه العملية؛ وبخاصة عندما نتحدث عن علامة الاستفهام التي تهيّأ لها من الأسباب الموضوعية ما جعلها لا تكاد تغيب عن أيّ نص من النصوص، وأهم هذه الأسباب -حسب تقدير الباحث- هو مكانة الاستفهام في التركيبة الفكرية للإنسان؛ فلا تكاد تخلو عملية ذهنية يقوم بها من

استفهام، بما في ذلك ما ينتج عنه خطاباتٌ خبرية صرفة، ولاسيما الاستفهامات الثلاثة الكبرى: ماذا؟ ولماذا؟ وكيف؟ هذه الكثرة في استفهامات الإنسان: مفكرا، وقارئا، وكاتبا، جعل لعلامة الاستفهام مكانة خاصة؛ بحيث لو قُدّر أن نسي الكاتب، أو تعمّد استبعاد هذه العلامة عن أيّ تركيب استفهامي، ولو كان ظاهرا جليًّا، فإن ذلك من شأنه أن يُقلق القارئ، ويشعره بأن شيئا ناقصا في سطح النص، وربما جعله يرتبك في مواصلة القراءة، أو على الأقل في حسن تأمّل النص، والتفاعل معه.

ولما كان ذلك كذلك فإننا نفضّل أن يراعَى هذا العرف الاجتماعي اللغوي، وتُرسَم علامة الاستفهام في نهاية التراكيب الاستفهامية، ويكون في ذلك غنية عن تأكيد المعنى بحركات إعرابية تثقل النص، اللهم إن كان ذلك لغرض تعليمي أو نحوه، ولكن دون أن يُستغلّ ذلك في التقليل من شأن الحركات الإعرابية، أو المبالغة في إثبات افتقار النص المكتوب إلى علامات الترقيم، وارتهان وصول دلالاته إلى القارئ بحسن استعمالها.

<u>**المثال الثاني**</u>: هو لِقامة علمية رفيعة المستوى، ورائد من روّاد علم الخط العربي، وتحقيق المخطوطات العربية في هذا العصر؛ وهو الأستاذ محمد عبد السلام هارون، الذي أكّد هو الآخر على أنّ «للترقيم منزلة كبيرة في تيسير فهم النصوص وتعيين معانيها» (هارون، 1965، ص80)، وأنّ فاصلةً واحدة قد «يؤدي فقدها إلى عكس المعنى المراد، أو زيادتها إلى عكسه أيضًا، ولكنها إذا وضعت موضعها صح المعنى واستنار، وزال ما به من الإبهام» (نفسه)، وهذا كلام صحيح، وتوجيه طيّب لعملية كتابة النصوص، ولكن هل كانت وصية الأستاذ هارون هذه عامّة؟ أم خاصة بالنصوص التي تحتاج إلى معونة علامات الترقيم في تيسير فهمها، وتعيين معانيها؟ لعل المثال الذي أورده الأستاذ كفيل بالإجابة عن سؤالنا هذا، قال رحمه الله: «مثال ذلك: "وكان صعصعة بن ناجية، جد الفرزدق، بن غالب عظيم القدر في الجاهلية"؛ فوضع فصلة بعد الفرزدق يوهم أوّلا أن "ناجية" هو جد الفرزدق، ويوهم ثانيا أن "غالبا" والد ناجية؛ وكلاهما خطأ تاريخي؛ فإن الفرزدق هو ابن غالب بن صعصعة» (نفسه).

قلت: مثلُ هذا الكلام من الدقة والقوة بحيث ينبغي أن يكون نصب عيني كل كاتب وقارئ ومحقّق، لا يشكّ في ذلك منصف، ولكن ماذا لو أعدنا كتابة الفقرة كاملةً، مجرّدة من كل علامة ترقيم، ومزوّدة بعلامتي شكل فقط، لا أكثر، هما: الشدة والضمة فوق دال كلمة "جد":

"وكان صعصعة بن ناجية جدُّ الفرزدق بن غالب عظيم القدر في الجاهلية"

أيمكن أن يشكّ قارئها في أن الفرزدق هو ابن غالب بن صعصعة؟ الجواب من دون شكّ: لا.

وأمّا إذا تكرّم الكاتب على القارئ بعلامات شكل إضافية، من غير أن يسيء الظن بفهمه، أو يظلم عليه نصَّه، وأراحه من تعب التنقيب عن المعنى، واقتصد عليه جهده ووقته، فإن ذلك من كمال علمه وعقله، فتكون العبارة مثلا: "وكان صعصعةُ بن ناجيةَ جدُّ الفرزدقِ بنِ غالب عظيمَ القدر في الجاهلية"، عندئذ يزول عند القارئ كل شكّ في أن الفرزدق هو ابن غالب بن صعصعة، وأن هذا الأخير كان عظيم القدر في الجاهلية.

ويكتمل جمال العبارة، وكرم الكاتب حين يتحف نصّه بفاصلتين لطيفتين؛ تقوّيان نور معانيه، وتزيّنان مفاصله ومسالكه، فيكتب: "وكان صعصعةُ بن ناجيةَ، جدُّ الفرزدقِ بنِ غالب، عظيمَ القدر في الجاهلية"، وهذا هو أروع مظهر للكتابة العربية؛ حيث تتعاون علامات الشكل مع علامات الترقيم على تنوير النص، وتيسير فهمه، دون إظلام له، ولا إساءة ظنٍّ بقارئه.

وهنا سؤال متوقَّعٌ أخير أختم به هذه المباحثة هو: ماذا لو أصاب الكاتب في وضع علامات الشكل، وأخطأ في وضع علامات الترقيم، ألا يبقى الإشكال الذي أشار إليه الأستاذ هارون قائما؟

أُفضّل، قبل الإجابة عن هذا السؤال، أن أنبّه على أنّ هذا العيب الكبير من عيوب الكتابة إنما يتحمله الكاتب، ويستحق اللوم الشديد عليه، لا أن يُتّخذَ ذلك مطية إلى التشكيك في قدرة علامات الشكل أو علامات الترقيم على تأمين معاني النصوص، وتيسير عملية فهمها.

وأما بخصوص موقف القارئ من مثل هذه الكتابة، وهو الجواب عن السؤال المطروح هنا، فهو -حسب رأي الباحث- أن يبني تصوّره لمعاني النص على أساس ما تؤدّيه علامات الشكل من توجيهات، لا على أساس علامات الترقيم؛ لأنّ علامات الشكل -كما تقرّر معنا سابقا- قاضيةٌ على علامات الترقيم، لا العكس، ومن أقوى ما يثبت صحة هذا المذهبِ الحالةُ المخالفة للحالة المذكورة في السؤال؛ أعني أن يصيب الكاتب في وضع علامات الترقيم، ويخطئ في رسم علامات الشكل، فهل يستجيب القارئ والحالة هذه إلى توجيهات علامات الترقيم، أم أنه يجد نفسه منقادا إلى توجيهات علامات الشكل، ودلالاتها في النص؟

الأمثلة على هذا المعنى كثيرة جدا، ويمكن للمرء أن يصطنع ما شاء منها، ولكنني أفضّل أن أبقى مع مثال الأستاذ عبد السلام هارون؛ لكونه مأثورا من جهة، ولكون صاحبه أحد ممثلي المذهب الذي نناقشه هنا من جهة أخرى، وهو عبارة: "وكان صعصعةُ بن ناجيةَ، جدُّ الفرزدقِ بنِ غالب، عظيمَ القدر في الجاهلية" بهذا الإخراج الذي اعتبرناه سابقا الإخراج الأمثل لها من حيث مراعاة استعمال علامات الشكل وعلامات الترقيم معا، لِنُجر عليها تعديلا طفيفا؛ تكون فيه علامات الترقيم موضوعة في أماكنها المناسبة، وعلامتان من علامات الشكل متعمَّدٌ الخطأ في رسمها، وذلك على النحو الآتي: "وكان صعصعةُ بن ناجية، جدَّ الفرزدقِ بن غالب، عظيمِ القدر في الجاهلية". هل يمكن للفاصلتين الموضوعتين موضعهما الصحيح أن تقاوما التغيُّر الحاصل على مستوى كلمة "جدّ"؛ وهو تغيّر نحوي يتمثل في انتقال هذه الكلمة من كونها بدلا من صعصعة، إلى كونها خبر كان، وهو انتقال يتسبب في تغيّر تصوّر منحى الكلام تغيّرا جذريا. والتغيرَ الحاصل على مستوى كلمة "عظيم"؛ وهو تغيّر تاريخي يتمثل في انتقال وصف عظمة القدر من صعصعة بن ناجية إلى ولده غالب، وهذا خطأ تاريخي تعجز علامتا الترقيم عن تصحيحه؛ لعدم قدرتهما على مجابهة الضغط الدلالي الذي أحدثته علامتا الشكل، وهو ما يتأكّد معه أنّ ما ينبغي أن يكون محلّ اهتمام الكاتب في المقام الأول هو ضبط علامات الشكل لا علامات الترقيم، وأن نهاية الكمال والحسن في العناية بهما معا، مع مراعاة ما بينهما من ترتيب أوّلي وأولوي.

4 - مناقشة أشهر الدعوات إلى إعادة النظر في الترقيم، واستحداث علامات جديدة له.

يمكن للباحث أن يعتبر المثالين المذكورين آنفا؛ أعني مثاليْ الأستاذين عبد العليم إبراهيم، وعبد السلام هارون، أنموذجا عن المبالغات التي يسوغ تقبّلها في مجال الدعوة إلى العناية بعلامات الترقيم، وحسن استعمالها في النصوص المكتوبة، وأما ما نعرض لمناقشته في هذا الجزء من البحث فهو ما نعتبره مبالغات غير مقبولة، بل نرفضها رفضا شديدا، ولا نتردّد في عدّها تشكل خطرا على العربية عموما، وعلى كتاب الله تعالى خصوصا في إحدى هذه الدعوات على وجه التحديد. وقد أمكن تصنيف هذه الدعوات إلى ثلاثة أصناف:

- صنف دعا أصحابُه إلى استخراج علامات ترقيم من درج النسيان؛ لإثراء النصوص المكتوبة بها، والاستعانة بها في مزيد توضيحها، وتيسير فهمها.

- وصنف دعا أصحابه إلى استحداث علامات جديدة للترقيم؛ بناء على تصوّرهم أن العلامات المتوفرة قاصرة عن الوفاء بحق كثير من معاني الكلام، وأداءاته المصاحبة.

- وصنف ثالث اقترح أصحابه استعمال علامات الترقيم في كتابة المصحف الشريف، واعتبروا ذلك من جنس ما قام به الأوائل في استعمال نقط الشكل والإعجام في رسم المصحف، وأن علتهما واحدة. ونحن نستعين بالله تعالى في مناقشة هذه الدعوات، ونقد ما جاء به أصحابها من أدلة ومبررات.

1-4 مناقشة الدعوة إلى استعمال علاماتِ ترقيم أغفلتها الهيئات اللغوية في تأسيس فن الترقيم العربي(8)

أشهر من دعا إلى استعمال علامات تجاهلَتها الهيئات العلمية القائمة على أمر الترقيم العربي، وعقد له فصلا في كتابه هو -حسب علم الباحث، واطلاعه القاصر- الدكتور عبد الفتاح الحموز (1992، ص27)، وبعد الاطلاع على تفاصيل هذه الدعوة، وأدلة صاحبها فيها أمكن القول إن مناقشة أمور ثلاثة متعلقة بها كافيةٌ للحكم بعد جدواها، وأنّها بين أن تكون لا حاجة للكتابة العربية إليها، أو أنّها تشكّل خطرا عليها، وتهديدا لاستقرارها، وتعوّدِ الكتّاب والقراء عليها:

أمّا الأمر الأول فأكتفي بعرضه دون شرح ولا توضيح؛ فقد أضحى متقرّرا في بحثنا هذا، وهو أن الأصل في أيّ محاولةِ زيادة لعلاماتٍ تخترق سياج الكتابة العربية، وتشترك مع علامات الشكل والترقيم المعروفة في توضيح دلالاتها، وتيسير فهمها، هو المنع والحظر، وأنّ رفع هذا الحظر لا يكون إلا لضرورة تُقدّر بقدرها، فهل يا ترى ذكر الدكتور عبد الفتاح ضرورةً اقترح لأجلها إعادة بعث هذه العلامات؟ نجيب عن هذا السؤال في الكلام عن:

الأمر الثاني، وهو أنّ العلامات التي اقترحها الحموز (وغيره من أنصار دعوته، المنادين بها في بعض المنتديات والمواقع الإلكترونية) لا يحتاج إليها النص العربي المكتوب في الوظيفة التي لأجلها استُحدثت علامات الشكل وعلامات الترقيم؛ وهي وظيفة الإبلاغ والإفهام، بل إنها لا تربطها أية صلة بطبيعة العربية البيّنة المبينة؛ فمن هذه العلامات التي اقترحها مثلا (وهي اثنتا عشرة علامة) نجد (نفسه، ص98-99):

١ ـ دائرة جوفاء مقسومة قسمين بخط مستقيم مائل نحو اليمين يظهر طرفاه من الجانبين (∅): تدل هذه العلامة على الصفر، أو أنه لا يتوافر شيء، وتبدو فيما يأتي:

ـ زم ∅ = الزمان صفر، أو لا شيء.

ـ م ∅ = موقع المحور أو بؤرة المقابلة أو اسم الاستفهام(٤٧٠).

٢ ـ سين باللغة الإنجليزية يقطعها خط مائل نحو اليمين من أعلى وأسفل، يظهر طرفاه من الجانبين ($): تدل هذه العلامة على نهاية مقطع في علمَي الصَّرف والأصوات.

٣ ـ واو بالعربية تمتد نهايتها نحو رأسها (ﻭ): تدل على المحمول الاعتباطي، أو موقع المحمول غير الفعلي(٤٧١).

٤ ـ خطان متوازيان صغيران مائلان نحو اليمين يقطعهما خطان آخران صغيران على أن يبرز طرفا كل خط، ويتلو هذا الشكل آخر مثله على أن يترك بينهما مسافة تسع ما يمكن أن يوضع بينهما (# #): تدل هذه العلامة على بداية جملة ونهايتها. وقد يُكْتَفى بالشكل الأوّل للدلالة على بداية جملة غير مكتملة(٤٧٢).

٥ ـ علامة التحويل المباشر (⇇)(٤٧٣).

٦ ـ علامة التحويل غير المباشر (⇇)(٤٧٤).

٧ ـ الأقواس المركَّبة المتجاورة ([[]): تدل هذه العلامة على أنَّ كل كلمة من كلمات التركيب اللغوي وثيقة الاتصال بغيرها فيه، نحو: [ذهب] [الولد] [إلى المدرسة]]] .

٨ ـ علامة حصر صفات بعض الكلمات({ ⇇)(٤٧٥) نحو:

١٠ ـ علامة عدم توافر الصفة في المتحدَّث عنه (–) نحو:

فعل { – لازم / – مزيد }

١١ ـ علامة الأكبر: (<).

١٢ ـ علامة الأصغر: (>).

ولست أدري أين يريدنا الدكتور عبد الفتاح أن نضع علامة أكبر وأصغر مثلا؟ اللهم إن كان يقصد النصوص الخاصة بعلم الرياضيات، أو بعض فروع علم المنطق والفلسفة، وكان عليه -والحالة هذه- أن يكتفي بالإشارة إلى أنّ هذه العلامات خاصة بأهل هذه العلوم، أو أن يدع هذه المهمة لهم، بدل أن يدعو إلى إثقال النص العربي (البيانيّ) بها.

الأمر الثالث هو ما يشتدّ معه رفض هذه الدعوة وما كان على شاكلتها؛ وهو أنّ شكل هذه العلامات لا يتناسب مع رونق الكتابة العربية، وانسيابية حروفها، وما أصعب أن يتصوّر المرء كتابةً عربية محشوّة بهذه الخطوط المتشابكة، والأسهم المتماوجة، مع يقينه من أنّ غيابها لن يشكّل أي ضرر على عملية الإفهام والإمتاع، بل إنه يعين عليها، ويسهم في تقويتها وتسريعها.

4 - 2 مناقشة الدعوة إلى استحداث علامات ترقيم تنقل مزيدا من تنغيمات النص المنطوق وأغراضه.

أصحاب هذه الدعوة كثيرون جدّا، وهم أكثر مَن يتذمّر من قصور علامات الترقيم المستعملة حاليا -بزعمهم- عن الوفاء بكثير من معانيها وأغراضها، فضلا عن أنبارها وتنغيماتها، من بين هؤلاء على سبيل المثال الدكتور عبد العزيز المحمدي، الذي اقترح استحداث نوعين من العلامات (المحمدي، 2020، http://almajma3.blogspot.com/2015/01/blog-post_8.html?m=1):

- أحدهما سمّاه **علامات التنغيم**، وهي:

علامة استفهام مقلوبة (¿) وتفيد تنغيمة (التوبيخ والإنكار)، ومثّل لها بعبارة: "قتلتَه وهو يقول لا إله إلا اللّه ¿".

علامة تعجب مقلوبة (¡) وتفيد تنغيمة النفي بطريقة التهكم.

علامة))) وتفيد للتنغيم في النداء، مثل: "خالد)))"، وغيرها.

- والنوع الثاني هو **علامات الترقيم**، وهي:

إضافة (<<) وترمز للفقرة التالية.

إضافة علامة (|) خط قائم للفواصل بين النقاط الرئيسة كما نراها في القائمة العلوية لبعض المواقع على الشبكة: مثل: الصفحة الرئيسة | نبذة | اتصل بنا | خدماتنا |.

إضافة جميع الأشكال والرموز المستحدثة في برامج التواصل الاجتماعي (غير الأدائية) كالأشكال التالية: (#، ∞، &) وقد عُرِضتْ كيفية استخداماتها في الندوة.

ولا ينقضي العجب مما في هذه التوصية الأخيرة من دعوةٍ إلى إضافة جميع هذه الأشكال والرموز، لا بعضها فقط. فضلا عن أن يكون مراعىً في اختيار هذا البعض معاييرُ موضوعيةٌ نابعة من خصوصية العربية، ومنضبطة بما حدّده علماؤها الأوائل من قواعد وتوجيهات.

ولا أريد أن أقفَ عند مسألة شكل هذه العلامات المقترحة، وأكرّرَ القول في عدم تناسقها مع أشكال الحروف العربية، وجمالها ورونقها، وأنها أقرب إلى مجال العلوم الرياضية والتقنية منها إلى فضاء العربية وفروعها اللغوية المختلفة. وأن هذه الأشكال والرموز من الكثرة بحيث يتعذر حصرها.. لا أريد أن أقف عند ذلك كلّه، ولكنني أنتقل من عبارة **"برامج التواصل الاجتماعي"** في هذه التوصية إلى قول صاحبها في النتيجة الثانية من نتائج بحثه، وهي قوله: "علامات الترقيم

تحتاج إلى إعادة النظر فيها للزيادة والإضافة؛ ففي عصرنا الحالي تطورت الكتابة العربية وأساليها وأغراضها التعبيرية **بصورة تفوق إدراكنا**؛ بفضل الانتشار المهول لبرامج التواصل الاجتماعي!"؛ لأكتفي بها في الدلالة على أنّ هذه الدعوات ليست مبنية على أسس متينة من العلم، ولا تربطها بأصول اللغة العربية روابط قوية، بل تصدر عن حماسة عاطفية، وتصورات لا ترقى إلى رتبة الإشكالات العلمية التي تستحقّ اهتمامات الهيئات المعنية، وأوقاتهم الضيقة.

آخر شيء أنبّه عليه في مناقشة هذه الدعوة ونظائرها هو ما يتعلق باعتماد أصحابها على توهّم أن أغراض السخرية، والتوبيخ، والإنكار، والتهكم، والتبسّم، ونحوها، ليس في علامات الترقيم ما يمثّلها؛ ولذلك كان من الضرورة استحداث علامات تنقلها من الكلام المنطوق إلى الكلام المكتوب، والحقيقة أنّ هذا الزعم لا يتجاوز كونه وهمًا في أذهان أصحابه؛ وذلك أن:

- السياق كفيل بالكشف عن هذه الأغراض، وإن لم يكن على مستوى النص المكتوب ما يخبر عنها، وليس موضوع السياق بالذي يحتاج إلى بيان أهميته في بيان أغراض المتكلمين، ولذلك أكتفي -لضيق المقام- بعبارة شهيرة للعلامة ابن القيم رحمه الله، يقول فيها: «السياق يرشد إلى تبيين المجمَل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق.. » (ابن القيم، د.ت، ص9)؛ ولذلك فليس من المقبول أن يعمِد بعض الباحثين إلى اصطناع عبارات، وعزلها عن سياقها، ثم ادّعاء أن علامات الترقيم المتوفرة لا تقدر على نقل معاني السخرية، أو التهكم، أو الغضب، أو الفرح... التي "قد" تتضمّنها، بل ينبغي أن تُدرس العبارة بإشراك جميع عناصر الدلالة، والنظر إليها مجتمعة، ومن أهمّها السياق بنوعيه: المقالي والمقامي.

- وأنّ من أهمّ مقومات النص المكتوب، ومبادئه الأساسية، أن يتضمّن -عند الحاجة- عبارات توضيحية، وتمثيلات بيانية لبعض الأغراض البلاغية ونحوها، من شأنها نقل المشاعر والأحاسيس، وكذا المواقف والانطباعات التي اشتمل عليها المشهد الكلامي؛ مثل: مبتسما، مغضبا، ساخرا، متهكّما، تغيّر لونه، تمعّر وجهه، أشار بإصبعه، هزّ كتفه، ونحو ذلك كثير في لغة العرب.

4 - 3 مناقشة الدعوة إلى تزويد المصحف الشريف بعلامات الترقيم:

وهذه الدعوة قديمة قِدمَ علامات الترقيم، ولا أدلّ على ذلك من إشارة مخترع هذه العلامات، أحمد زكي باشا، إليها، وردّه على أصحابها في مقدمة كتابه الترقيم وعلاماته في اللغة العربية قائلا: «وعندي أنه لا موجب لاستعمال هذه العلامات في كتابة القرآن الكريم؛ لأن علماء القراءات، رحمهم الله، قد تكفّلوا بالإشارة إلى ما فيه الغناء والكفاية فيما يختص به، وربما كان الأوفق عدم استعمالها أيضًا في كتابة الحديث الشريف؛ لأن تعليمه حاصل بطريق التلقين، وأما روايته فلا بد فيها من الدراية أيضًا» (زكي باشا، 1987، ص13) .ا.هـ قلت: وهذا مانع من موانع استعمال علامات الترقيم في كتابة المصحف الشريف، نضيف إليه خمسة موانع أخرى تقف دون الاستجابة لنداءات المطالبين بهذه الدعوة:

- أمّا المانع الأول فسبق ذكره في بداية البحث؛ وهو أن القرآن الكريم من الوضوح والبيان بحيث لا يحتاج إلى علامات ترقيم تهدي قارئه إلى ما فيه من استفهامات، وتعجّبات، ومقولات أقوال ونحوها، وإنما الذي يُحتاج إليه في فهمه وتدبّره هو: قلوب صافية، وفهوم سليمة، وعلوم نافعة: تَستخرج معانيه ودلالاته، وتستنبط حكمه وأحكامه.

- وأنّ الأصل في إدخال أيّ شيء على الرسم العثماني هو الحُرمة، إلا ما دعت الضرورة الشديدة إليه؛ صيانة لكتاب الله تعالى من العبث، وسدّا لذريعة تحريفه أو إدخال أيّ شيء عليه، وأقوالُ علماء الشريعة في هذا المعنى أكثر من أن تُحصى أو تعدّ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «يحرُم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو نحو ذلك»

(الزركشي، 1957، ص379)، و«سئل الإمام مالك، رحمه الله، هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا، إلا على الكتبة الأولى» (الداني، د.ت، ص19).

- وأنّ القرآن الكريم حمّال أوجه، متعدّدةٌ معاني كثير من ألفاظه وتراكيبه، وعلاماتُ الترقيم منها ما فيه الجزم بالدلالة على معنى معيّن؛ كالاستفهام، والتعجّب، ومنها ما يدلّ على أنّ ما بعدها مفسِّرٌ لما قبلها، أو مفسَّر به، وهو الفاصلة المنقوطة، ما يعني أنّ استعمال مثل هذه العلامات في كتابة المصحف الشريف هو بمثابة الجزم بتفسير الآيات المستعملة فيها؛ وهذا فيه -على الأقل- مخالفتان شرعيتان، هما:

- ✓ أن يُكتفى بوجه واحد في تفسير الآية، مع احتمالها لوجوه أخرى غيره.
- ✓ والمخالفة الثانية أخطر وأكبر؛ وهي أن يُجزم بدلالة الآية على معنى ما، وهي تدلّ على خلافه؛ وذلك حين يرتئي مستعمل علامة الترقيم أنها مناسبة لهذا الموضع تبعا لفهمه هو للآية، بينما يرى غيره أن علامة ترقيم أخرى هي التي تليق به، فيضيع معنى الآية، ويتعرض كتاب الله تعالى للعبث.

- المانع الرابع من موانع استعمال علامات الترقيم في كتابة المصحف الشريف هو أنها إلى اليوم لم يُفصل في عددها، ولا في وظيفة بعضها، وما إذا كانت كافية للمهمة الموكلة إليها، أم أنه ينبغي استحداث علامات أخرى غيرها؛ فكيف يمكن -والحالة هاته- أن يطمئن المسلمون لاستعمالها في كتابهم المعظّم؟ بخلاف علامات الشكل التي تلقّتها الأمة العربية والإسلامية بالقبول، واعتاد عليها الناس قرونا عديدة، وأزمنة مديدة.

- وعلى ذكر علامات الشكل، فإننا نختم مناقشة هذه الدعوة بذكر المانع الخامس من موانع الاستجابة إليها، وهو ما يتعلق بالجانب الشكلي لعلامات الترقيم؛ حيث لا يطيق المرء أن يتصوّر المصحف الشريف ممتلئا بها، وهي لا تمتّ إليه ولا إلى العربية بصلة، فضلا عن أن يتصوّر إلى جنب هذه العلامات ما اقترحه بعض الباحثين من أشكال ورموز، من شأنها أن تفسد جمال الرسم القرآني، وبهاءه ورونقه.

5 - مقترَح البحث في مجال إثراء استعمال علامات الترقيم في الكتابة العربية

بعدما تبيّن موقف الباحث من الدعوات المنادية بضرورة إسعاف الكتابة العربية بعلامات ترقيم إضافية؛ تنير سبلها، وتيسّر فهمها، سواء أكانت علامات قديمة مهجورة، أم علامات جديدة مستحدثة، وهو الرفض والاستنكار، صار الوقت مناسبا للإجابة عن سؤال أخير نختم به هذا المقال، هو: هل الغرض من هذا البحث الدعوة إلى إبقاء الكتابة العربية على حالها؛ ليس فيها إلا علاماتُ ترقيم معدودة، تُستعمل في الدلالة على معانٍ يكون بينها -في أحيان كثيرة- تفاوت كبير، ولو كان يجمعها رابط دلالي واحد، أو غرض بلاغي معيّن؟!

لقد تعمّدتُ تأخير ذكر هذا السؤال إلى هذا الموضع لتكون الإجابة عنه عرْضًا لمقترَح أقدّمه إسهامًا في خدمة الكتابة العربية، أرجو أن يكون جامعا بين الحسنيين: تجنّبِ إثقال الكتابة العربية بعلامات ترقيم إضافية. وتوظيفِ بعض علامات الترقيم المستعملة حاليا توظيفا جديدا من شأنه تمكين النص المكتوب من تمثيل أحسن للكلام المنطوق؛ بالتأليف بين ما يأتلف منها، وهو ما أصطلح عليه **بعلامات الترقيم التركيبية**.

ولكي تتّضح صورة هذه العلامات، يحسن بنا عرضُها عقب بيان علامات الترقيم المفردة بيانًا موجزا؛ لأن خلوّ البحث منها يعتبر قادحًا فيه من جهة، ولأن كثيرا ممن عرض هذه العلامات في كتب الإملاء والترقيم اعتمد أسلوب الاستقصاء والتفصيل من جهة أخرى، وهو أسلوب نتجنّبه في عرضنا هذين لسببين اثنين:

- أنّ هذا الاستقصاء شوّش على كثير من المتعلمين، وبخاصة المبتدئين منهم؛ حيث أشعرهم بضرورة ضبط المناسبات التي تستعمل فيها كل علامة، مع عدم إمكان ذلك من جهة، ومخالفته لرحابة العربية من جهة أخرى.

- وأننا نعتقد أنّ استعمال علامات الترقيم لا يحتاج إلى كفاءة لغوية وحسب؛ بل يفتقر مع ذلك إلى ذكاء قلب، ورهافة حسّ، وثقافة معتبرة، لا كما يتوهّم البعض أنها عملية ميكانيكية جافّة؛ تُحفظ قواعدها كما وردت، وتطبّق حسب التعليمات الصارمة، والأوامر الملزمة.

وقبل عرض دليل استعمال علامات الترقيم الذي نقترحه في بحثنا هذا، أودّ أن أشير إلى مسألتين اثنتين:

المسألة الأولى هي أنني حاكيتُ في هذا العمل صنيع الأستاذ عبد السلام هارون في عرضه لعلامات الترقيم، فإنه -على وجازته- جاء مستوفيًا لأكثر العلامات التي يحتاج إليها كاتب النصوص العربية، مكتفيًا بذكر مواضع استعمالاتها إجمالا، تاركا مهمّة الاستعمال التفصيلي لمهارة الكاتب، وذوقه الفنّي، وهذا ما نرتضيه لأنفسنا في عرض علامات الترقيم؛ رحمةً بالمتعلم، وفتحا لباب الإبداع والتفنُّن للمتمكّن: يتحف عمله الفنّي بما تجود به قريحته وبراعته، وتسمح به قواعد الترقيم العربي، وضوابطه المعلومة. وأشير إلى أنني أجريت بعض التعديلات على هذا العمل؛ زيادةً، ونقصا، وتغييرا، بحسب ما أرشدني إليه البحث الطويل، والقراءة المتكررة لأقوال العلماء والباحثين في هذا الموضوع.

المسألة الثانية هي أنّ أكثر ما كان محلّ انشغال دعاة تجديد علامات الترقيم، وتزويدها بعلامات جديدة، ومستمسكًا لهم في دعَواتهم هذه، وإن لم يجهروا بذلك، أو خفي عن بعضهم، **هو ما يتعلق بالسياقات الانفعالية والنفسية**: من تعجّب، ودهشة، وإنكار، وتهكّم، ونحو ذلك، بينما لا يجد القارئ العربي أيّ إشكال في فهم النصوص المكتوبة ذات الطابع الموضوعي العلمي؛ ولذلك فإنّ عامة ما نقترحه من علامات ترقيم تركيبية تسبح في هذا الفلك، وهي خمس علامات ختمنا بها علامات الترقيم التي نضعها بين يدي الباحثين، وعددها الإجمالي إحدى وعشرون علامة، نعرضها في الجدول الآتي مرتّبةً باعتبار ترتيبها -غالبًا- في الظهور على مستوى النص المكتوب، مع ذكر ملاحظات متفرقة، وتنبيهات عامة في مواضع مختلفة من هذا الجدول.

دليل استعمال علامات الترقيم		
الرقم	**العلامة**	**أشهر أسمائها، ومواضع استعمالها**
01	الفراغ قبل بداية كل فقرة	ويمكن تسمية هذه العلامة بالعلامة العدمية؛ والمقصود بها أن يترك الباحث فراغا قبل بداية كل فقرة، مقداره كلمة أو كلمتان؛ إشعارا ببدء موضوع جديد، أو الانتقال من فكرة إلى أخرى.
02	،	أشهر أسمائها الفاصلة، ويسميها بعضهم فصلة، وشولة، وأهم مواضعها بين الجمل التي يتركب من مجموعها كلام مفيد، وبعد المنادى، وبين أنواع الشيء وأقسامه، ونحو ذلك.
03	؛	الفاصلة المنقوطة، وتوضع بين الجمل التي تكون بينها علاقة سببية، أو إحداها تفسّر الأخرى، سواء كانت قبلها أم بعدها.
04	:	النقطتان الفوقيتان، وتوضعان بين فعل القول ومقوله، وبين الشيء وأقسامه، وأجزائه، وأنواعه، وقبل ذكر الأمثلة التي توضّح بها القواعد، ونحو ذلك.
05	" "	علامتا التنصيص، ويكتب بينهما كلُّ نص يُنقل بحروفه، ما لم يكن آية قرآنية كريمة، أو حديثا نبويا شريفا.
06	﴿ ﴾	القوسان القرآنيان، وهما خاصان بالنص القرآني، وتوجد أقواس مزخرفة كثيرة

		أخرى يمكن استعمالها في هذا الموضع.
07	« »	علامتا تنصيص خاصتان بالنص النبوي، وهناك علامات مميزة أخرى غير هاتين العلامتين، يمكن استعمالهما في هذا الموضع أيضا؛ فالمهم أن يلتزم الكاتب علامات مميزة يستعملها في كتابة الأحاديث النبوية الشريفة، أو أيّ مقطع منها.
08	...	علامة الحذف، وهي نقاط ثلاث، توضع بدلا عن أيّ مقطع محذوف من النص المنقول، أو بيانًا لسَقط في تحقيق مخطوط، أو تنبيها للقارئ، واستفزازا لفهمه وتساؤله، أو نحو ذلك، ولم يبيّن لنا الأستاذ عبد السلام هارون سبب جزمه بأنها "ثلاث نقاط، لا أكثر ولا أقلّ". بينما رجّح الدكتور الحموز أن تحديدها بثلاث نقاط، أو أربع، أو خمس، راجع إلى مقدار الكلام المحذوف؛ فإن كان قليلا فثلاث، وإن كان كثيرا فخمس، وهكذا، ولعلّ اعتبارها ثلاث نقاط دون جزم ولا إلزام أحسن الأقوال؛ لاشتهاره بين الناس، وكونه يحافظ على رونق العبارة، وحجم النص المكتوب.
09	-	الشرطة، وتوضع في بداية الجمل التي تمثل عناصر فرعية يتركب من مجموعها عنصر كلي، أو فكرة عامة، وقبل كتابة بعض العناوين الفرعية، أو الأمثلة التمرينية غير المرقمة، ولا ينبغي أن تكون ملتصقة بالكلمة التي تليها. وربما كتبها بعضهم بعد الأرقام والحروف التي ترتّب بها الجمل ذات الطابع الترقيمي، نحو: 1- 2- أ-، وهكذا.
10	- -	الشرطتان، وتكتب بينهما -في الغالب- الجمل الاعتراضية، وهي -أي الجمل- أنواع كثيرة، وجامعها أنها تكون طارئة على النص، لا منبثقة عنه.
11	( )	القوسان، ويوضع بينهما تواريخ الوفيات، وبعض العبارات التذكيرية، أو التفسيرية، أو التعريفية، وألفاظ الاحتراس، والتنبيه، ونحوها.
12	[ ]	القوسان المعقوفان، أو المعكوفان، ويحصران الجمل الزائدة على النص، وغالبا ما يستعملها محققو المخطوطات؛ تفاديا للخلط، وتحرّيا للأمانة. ولهما استعمالات أخرى، منها أن يوضع بينهما رقم الآية القرآنية واسم سورتها، وحدود التواريخ، نحو: [1400هـ-1410هـ] وبعض الصفحات [ص: 65-67].
13	؟	علامة الاستفهام، وتوضع في نهاية كل جملة استفهامية، إلا ما كان الاستفهام فيها صوريا؛ أي خاليا من أيّ دلالة استفهامية، نحو: سنرى أيُّنا كان مصيبا.
14	!	علامة التعجب، ومنهم من يسميها علامة التأثُّر، والظاهر أنها تسمية أصحّ وأفضل؛ إذ التعجب نوع من أنواع التأثر، ومن أنواعه أيضا الحزن، والغضب، والتهكّم، والاستنكار، والاستغراب، ونحو ذلك، وكلّها يحسُن بالكاتب تمثيلها بهذه العلامة، وربما تطلب المقام أحيانا ضمّ علامة أو علامتين مثلها إليها، تعبيرا عن كون هذه العاطفة تجاوزت القدر المتعارف عليه.
15	.	النقطة، ويسميها بعضهم الوقفة، وتوضع في نهاية الفقرات، وفي داخل الفقرة بعد الجمل التامة المستقلة؛ التي لا يربطها بما بعدها رابط مباشر.
		علامات الترقيم التركيبية

16	؟؟	للاستفهام الذي يتطلب إفهاما، لا مجرّد الاستخبار الذي تعبِّر عنه علامة: ؟
17	؟!	للاستفهام الذي يحمل في طيّاته استغراب صاحبه، أو تعجّبه، أو استنكاره.
18	!!	للتعجب الشديد، أو الاستنكار الزائد عن الحد المعتاد، أو نحو ذلك.
19	!!!	للتعبير عن الدهشة، أو الذهول، أو نحوهما.
يمكن للكاتب أن يتصرّف في إنشاء علامات تركيبية أخرى، حسبما يراه مناسبا؛ مثل أن يستعمل: علامة: ؟؟! أو ؟؟!! أو ؟!! أو ؟..!، أو نحو ذلك، وضابط ذلك أن يراعي أمرين هما: الدلالة والاقتصاد.		
20	التسطير	وأكثر ما يستعمل في النصوص المكتوبة بجهاز الحاسوب أو نحوه، ويراد به -في الغالب- التنبيه على الكلام المسطّر، أو تمييزه عن غيره، أو اتخاذه عنوانا..
21	تغليظ الخط	وهو خاص بالنصوص المكتوبة بالأجهزة الحديثة، ويستعمل عادة في تمييز العناوين، وأسماء الأعلام، وكل كلمة أو عبارة لها خصوصية داخل النص المكتوب؛ كأثر شرعي، أو مقولة نفيسة، أو كلام خطير، أو نحو ذلك.
تنبيه	ينبغي إلصاق علامات الترقيم بالكلمة التي قبلها، وترك مسافة بينها وبين التي بعدها، عدا القوسين بأنواعهما، والشرطة، والشرطتين؛ فعلى العكس من ذلك، وأمّا نقاط الحذف فلم أقف على أحد من الباحثين يوصي بإلصاقها بما قبلها أو ما بعدها، وواقع أكثر الكتابات يثبت أنّها مسألة اختيارية، ويقترح الباحث أن تترك بينها وبين ما قبلها مسافة؛ عملا بالأصل الذي هو وجود كلمة في هذا الموضع، وأن تلتصق بالنقطة الأخيرة منها فاصلة؛ عملا بالأصل ذاته، والله أعلم.	

6 - خاتمة: نختم هذا البحث بذكر أهم النتائج التي توصّل إليها، والتوصيات التي يقدّمها:

- يعتبر التشكيل الإعرابي العربي إنجازا علميا باهرا، ومَعلما من معالم الحضارة العربية والإسلامية؛ لما حقّقه فيه علماء العربية المسلمون من خدمة للعربية، وإمتاع للقارئ، وإكساب للخط العربي مزيدا من الرونق والجمال.

- الذي حدا بعلماء العربية إلى اختراع علامات التشكيل هو شيوع اللحن في اللسان العربي، وفي قراءة كلام الله تعالى خاصة؛ بسبب اختلاط العرب بالعجم، مثلما حصل مع ظهور علم النحو العربي، وعليه فإن اختراع هذه العلامات، مع كونه مَعلما حضاريا بارزا، فإنه إشعار بضعف الملكة اللغوية عند كثير من الناطقين بالعربية، عربا كانوا أم عجمًا.

- تشدّدَ العرب الأوائل في مسألة استعمال علامات التشكيل، وبالغوا في النهي عن الإسراف في شكل حروف الكلمات، ومن أجود ما أُثر عنهم في ذلك قولهم: لا يُشكَّل إلا ما يُشكِل.

- ظل العرب والمسلمون قرونا طويلة يقرؤون نصوصهم مستهدين بمعرفتهم لقواعد العربية وأساليبها، وبما يستعمله الكتّاب من علامات نقط وتشكيل، حتى مطلع القرن الماضي، وفيه لاحظ بعض الباحثين معاناة كثير من قراء العربية في فهم بعض تراكيبها من جهة، واستعمال الأوروبيين وغيرهم علامات ترقيم في كتاباتهم؛ تعينهم على فهمها، ودفع اللبس عنها، من جهة أخرى، ففزع أحد هؤلاء الباحثين، وهو الأستاذ أحمد زكي باشا، إلى إدخال كثير من هذه العلامات في الكتابة العربية، مستلهما هذه الفكرة من تراث العرب القدامى، وجهودهم الجبارة في هذا الباب، وبخاصة في رسم المصحف الشريف، وما تضمّنته المخطوطات العربية من رموز وعلامات استعملها الخطّاطون في كتابتها؛ تيسيرا لقراءتها، وفهم معانيها ودلالاتها.

- تشترك علامات الترقيم مع علامات التشكيل في كونها تعتبر معلما حضاريا يحفظ في سجلّ تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وإشعارًا بتدنّي مستوى أهل العربية الذين أدركوا زمن اكتشاف هذه العلامات، وفي كونها إنما استحدثت لغرض بياني تواصلي؛ هو تحقيق الفهم والإفهام في عملية التواصل المكتوب بين الكتاب والقرّاء.

- تفترق علامات الترقيم عن علامات التشكيل في أمور كثيرة، أهمها ثلاث نقاط هي:

✓ ما يتعلق بالأصالة في العربية؛ فعلامات التشكيل مستخرجة من حروف الهجاء العربية: فالضمة واو صغيرة، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف، والكسرة ياء صغيرة مردودة إلى الخلف تحت الحرف المكسور، ذهب رأسها مع مرور الأيام، وهكذا، بينما لا علاقة بين علامات الترقيم من حيث شكلها، ودلالاتها على ما تؤديه من المعاني، وبين أشكال حروف العربية.

✓ سلامة علامات الشكل، ومنذ نشأتها الأولى، من الاضطراب واللاتوافق الذي تعرفه بعض علامات الترقيم، على الرغم من كثرة البحوث المخصصة لدراستها.

✓ أنّ علامات التشكيل أقدر على إزالة اللبس عن العبارات التي تحتمل الدلالة على معان مختلفة، وربما متضاربة؛ ولذلك أكّد الباحث على ضرورة العناية باستعمالها، وعدم إيثار استعمال علامات الترقيم عليها، ولو كان في إمكانها تأدية مؤدّاها، وتحقيق غرضها؛ لما بينهما من ترتيب أوّلي وأولوي.

- يمكن تعزيز علامات الترقيم المستعملة حاليا باستعمالات جديدة، يستفيد منها الكاتب والقارئ، دون الحاجة إلى علامات ترقيم جديدة أخرى، تشوش على المتعلمين، وتسهم في مزيد إضعاف لمهمة علامات الشكل، هذه الاستعمالات هي ما اصطُلح عليه في هذا البحث باستعمال علامات الترقيم التركيبية؛ وهي تتميز بميزتين إيجابيتين: أنها مجرد تأليف بين العلامات المفردة المستعملة، وأنها تضخّ في النص المكتوب طاقات دلالية إضافية، لم يكن يسعفه نقلها بما يستعمل فيه من علامات ترقيم مفردة.

التوصيات: يوصي الباحث المشتغلين في مجال الكتابة العربية عموما، والترقيم العربي على وجه الخصوص بإيلاء هذا الموضوع عناية إضافية، والنظر في المقترحات الآتية:

- توحيد قواعد الترقيم العربي، وإلزام مختلف الهيئات العلمية، والمؤسسات التعليمية وغيرها بمراعاتها؛ تجنّبا للفوضى والاضطراب في كتابة النصوص العربية وقراءتها.

- إدراج مقياس الترقيم العربي في مراحل مبكرة من التعليم الأساسي.

- العمل بمبدأ التدرج في تعليم الطلاب علاماتِ الترقيم، وكيفية استعمالها؛ بأن يعلّموهم إياها شيئا فشيئا، وبحسب تفاوتها في الأهمية والترتيب.

- ينبغي تأخير تدريس الترقيم العربي على تدريس علامات الشكل، وبيان أن هذه الأخيرة متقدّمة على الأولى زمنا، وأهمية، وأحقّية بالاستعمال في مواضع اللبس والغموض.

- تحسيس المتعلمين، وتذكيرهم الدائم والمستمر، بأن علامات الشكل والترقيم إنما استحدثت لتحقيق غايات علمية، أهمها ضمان قراءة سليمة، وفهم صحيح للنصوص المكتوبة، دون مبالغة في إظلام النص، وإساءة الظن بقارئه، اللهم إذا تعلّق الأمر بكتابة المصحف الشريف، وتحقيق المخطوطات، وبعض أنواع النصوص ذات الطابع الخاص، بالنسبة لعلامات الشكل تحديدا.

7. قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

✓ إبراهيم، عبد العليم، (د.ت)، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مصر، مكتبة غريب.
✓ ابن عبد البر، يوسف، (1994)، جامع بيان العلم وفضله، المملكة العربية السعودية، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي.
✓ ابن فارس القزويني، أحمد، (1979)، معجم مقاييس اللغة، بيروت، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
✓ ابن قيم الجوزية، محمد، (د.ت)،بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي.
✓ الأسد، ناصر الدين، (1988)، مصادر الشعر الجاهلي، مصر، دار المعارف.
✓ الألباني، محمد، (1996)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
✓ الأنباري، محمد، (1971)، إيضاح الوقف والابتداء، دمشق، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية.
✓ الجبوري، سهيلة، (1962)، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، بغداد، المكتبة الأهلية.
✓ الجبوري، يحيى، (1994)، الخطّ والكتابة في الحضارة العربية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
✓ الحمد،غانم قدوري، (1982)، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري.
✓ حمودة، محمود، (2000)، تطور الكتابة الخطية العربية، جامعة القاهرة، دار نهضة الشرق.
✓ الحموز، عبد الفتاح، (1992)، فن الترقيم في العربية أصوله وعلاماته، عمّان – الأردن، دار عمار.
✓ الداني، عثمان، (1987)، المحكم في نقط المصاحف، دمشق، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر.
✓ الداني، عثمان، (د.ت)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، القاهرة، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية.
✓ الدينوري، عبد الله، (1997)، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية.
✓ الزركشي، محمد، (1957)، البرهان في علوم القرآن، مصر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
✓ زكي باشا، أحمد، (1987)، الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، بيروت، دار البشائر الإسلامية.
✓ الصولي، (1922)، أدب الكتاب، مصر – بغداد، المطبعة السلفية - المكتبة العربية.
✓ الفراهيدي، الخليل، (د.ت)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
✓ الفرماوي، عبد الحي، (د.ت)، قصة النقط والشكل في المصحف الشريف، القاهرة، دار النهضة العربية.
✓ الفيومي، أحمد، (د.ت)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
✓ قباوة، فخر الدين، (2007)، علامات الترقيم في اللغة العربية، حلب، دار الملتقى.
✓ القشيري، مسلم، (د.ت)، المسند الصحيح، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
✓ القلقشندي، أحمد، (د.ت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الكتب العلمية.
✓ الكردي، محمد، (1939)، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني.
✓ مصطفى، إبراهيم، وآخرون: (د.ت)، المعجم الوسيط، مصر، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
✓ نافع، غريب، (1981)، الضياء في قواعد الترقيم والإملاء، مصر، مكتبة الأزهر.

✓ النويري، أحمد، (2000) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية.
✓ هارون، عبد السلام، (1965)، تحقيق النصوص ونشرها، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

مواقع الأنترنت

✓ الأسدي، كريم، (2020)، علامات الترقيم: تعريفها، تسميتها، تاريخها، أهميتها، مقال منشور على موقع "صحيفة المثقف" الإلكتروني، د.تا، تاريخ التصفح: 09-09-2020م، رابطه: http://www.almothaqaf.com/b2/930882
✓ سالم، عادل، (2009)، علامات الترقيم في الكتابة العربية ومواضع استعمالها، مجلة ديوان العرب، المنشورة على الموقع الإلكتروني: ديوان العرب، في مقال له بعنوان: نُشر على ذات الموقع بتاريخ: الأربعاء 04 نوفمبر 2009، رابطه: https://www.diwanalarab.com/علامات-الترقيم-في
✓ المحمدي، عبد العزيز، (2015)، علامات الترقيم والتنغيم ومتممات الكتابة العربية، مقال منشور على موقع مجمع اللغة العربية الافتراضي، المدينة المنورة، بتاريخ: 15 ربيع الأول 1436هـ الموافق لـ 08 يناير 2015م، تاريخ تصفحه: 09-09-2020، رابطه على الشبكة هو: http://almajma3.blogspot.com/2015/01/blog-post_8.html?m=1

الهوامش:

(1) من أشهر من مال إلى القول بذلك من المعاصرين: الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه: مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط7، 1988م، ص38 وما بعدها، وجزم به الدكتور عبد الحي الفرماوي، انظر كتابه: قصة النقط والشكل في المصحف الشريف، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، د.تا، ص30.

(2) أيد هذا الرأي الدكتور غانم قدوري الحمد، انظر كتابه: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ط1، 1402هـ-1982م، ص513.

(3) وممّن جزم بذلك الدكتورُ محمود عباس حمودة، في كتابه تطور الكتابة الخطية العربية، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ص99، انظر أيضا: محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، ط1، 1358هـ-1939م، ص75.

(4) انظر مثلا: الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ص73، وغانم الحمد: رسم المصحف، ص487، و يحي وهيب الجبوري: الخطّ والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص103، والفرماوي: قصة النقط والشكل في المصحف الشريف، ص72، وغيرهم كثير.

(5) لم يعُد تيسير عملية الفهم والإفهام الغايةَ الوحيدة لاستعمال علامات الترقيم في الكتابة العربية؛ فقد أضحى لها إسهامٌ آخر في تزيين النص المكتوب، وإضفاء شيء من الزخرفة الفنية عليه، ويأتي قريبا إشارة إلى هذا المعنى.

وفي المقابل، فإن علامات التشكيل لم تعد تقتصر على أداء مهمة التوجيه الدلالي، وكشف قصود المتكلمين، ودفع اللبس عن مراداتهم من كلامهم؛ بل تؤدي وظائف أخرى، بحسَب الباحث أنها ثلاث وظائف هي:

1- **وظيفة اقتصاد وقت القارئ وجهده في ترجيح المعاني المحتملة من خلال تتبع أجزاء السياق**، مثال ذلك كلمة: **"تشدّد"** في العبارة الآتية: "تشدد العرب الأوائل في مسألة استعمال علامات التشكيل في النصوص المكتوبة، ورفضوا ..."؛ فوقوف القارئ على كلمة: "**رفضوا**" يقطع بأن كلمة تشدد فعل ماض وليس مبتدأ، وليس هذا التركيب محلّ لبس لدى أكثر قراء العربية، ومع ذلك فإن الكاتب اللبيب يضع فتحة لطيفة فوق الدال الأخيرة من كلمة تشدد، ليوفّر على القارئ هذا الجهد والوقت، ويجنّبه الانزعاج في بداية القراءة، وعند تكرارها في حالة عدم إصابته للاحتمال الراجح من أوّل مرة. وأقول فوق الدال الثانية وليس الأولى لأن في ذلك تحقيق مزيّتين اثنتين: **الأولى** أن الحركة الإعرابية أولى من غيرها في مثل هذه الاستعمالات، **والمزية الأخرى** العمل بمبدأ الاقتصاد في استعمال علامات التشكيل؛ فوضع الفتحة فوق الدال الأولى يلزم معه في الغالب رسم شدّة تحتها، وهذا ما معناه استبدال استعمال علامتين اثنتين باستعمال علامة واحدة لغير حاجة.

2- **وظيفة تحقيق التماسك اللغوي، والربط بين التوابع والمترابطات في النص المكتوب**: فكثيرا ما تتضمن العبارة الطويلة نعوتا، أو أبدالا، أو معطوفات، يفصل بينها كلام طويل، يمكن للقارئ أن يتعرف عليها، وعلى من تعود إليه، ولكن بمزيد من التأمل، كان الأولى به أن يستغله في التقدم في القراءة، وجني ثمار أخرى في طريقه، وهذا ما يمكن للكاتب أن يُعفيه منه برسم علامات على هذه الكلمات، تكون بمثابة الأعلام والشفرات التي تربط بينها، أو بالأحرى تربط تابعها بمتبوعتها، مثال ذلك علامات التنوين في العبارة الآتية: "لأنه جاء مستوفيًا للعلامات التي يحتاج إليها كاتب النصوص العربية، وبخاصة النصوص ذات الطابع الفنّي الأدبي بأشكالها المختلفة، مكتفيًا بذكر مواضع استعمالاتها إجمالا..".

3- **<u>الوظيفة الثالثة هي وظيفة التزين لا التبيين، وهذه الوظيفة فنية جمالية</u>**، ليس لأيّ أحد أن يمارسها كيفما اتّفق؛ بل تحكمها ضوابط وقيود، أوّلها وأهمّها **عدم الإكثار من استعمال علامات التشكيل لهذا الغرض**، وأن يتحقق بها إضفاء شيء من الجمال على الكتابة؛ فمثلا إذا شعر الكاتب أنه لم يستعمل علامات التشكيل سطرا كاملا، أو سطرين كاملين، فلا بأس أن يرسم شدّة، أو ضمة، أو تنوينا، ولو لم تدع إلى ذلك حاجة لغوية، **بشرط أن يكون اختياره للعلامة والموضع صائبا**: فلا يضع سكونا فوق لام التعريف، ولا علامةً فوق حرف بعده حرف مدّ، وهكذا.

(6) ذكر ذلك في مقدمة كتابه، انظر أيضا: غريب عبد المجيد نافع: الضياء في قواعد الترقيم والإملاء، مكتبة الأزهر، د.ط، 1401هـ-1981م، ص17، و: فخر الدين قباوة: علامات الترقيم في اللغة العربية، دار الملتقى، حلب، سوريا، 1428هـ-2007م، ص52.

(7) انظر: كريم مرزة الأسدي: علامات الترقيم: تعريفها، تسميتها، تاريخها، أهميتها (1)، مقال منشور على موقع "صحيفة المثقف" الإلكتروني، د.تا، تاريخ التصفح: 09-09-2020م، رابطه: http://www.almothaqaf.com/b2/930882

وإني لأُعجب غاية العجب من تكرر هذه العبارة، أعني من قوله: "فهذه الجمل" إلى آخر الكلام؛ في أكثر من أربعين مقالا ومداخلة! من غير أن يزاد عليها حرف واحد أو يُنقص!! ومن غير إحالة على مرجع، ولقد تتبعت أكثر هذه المشاركات سعيا إلى معرفة مصدر هذه العبارة؛ فوصلت في الأخير إلى غلبة ظنّ على أنه الأستاذ عادل سالم، رئيس تحرير مجلة ديوان العرب، المنشورة على الموقع الإلكتروني: ديوان العرب، في مقال له بعنوان: علامات الترقيم في الكتابة العربية ومواضع استعمالها، نُشر على ذات الموقع بتاريخ: الأربعاء 04 نوفمبر 2009، رابطه: https://www.diwanalarab.com/علامات-الترقيم-في

(8) صغت عنوان هذه الفقرة من عبارة للدكتور عبد الفتاح الحموز، -وهو، كما سيأتي، أشهر من دعا إلى استعمال علامات ترقيم تجاهلتها الهيئات العلمية القائمة على شؤون الترقيم في العربية- عنون بها للفصل الثاني من كتابه: "فن الترقيم في العربية، أصوله وعلاماته"، وهي قوله: "علامات الترقيم التي تشيع في كتاباتنا الحديثة وتلك التي تناستها مظانّ الإملاء الحديثة المختلفة"، انظر: عبد الفتاح أحمد الحموز: فن الترقيم في العربية أصوله وعلاماته، دار عمار، عمّان – الأردن، ط1، 1412هـ-1992م، ص27.